

سید

وقصص اُخری

بقلم

حبیب توفیق

بجامعة مصر

« مؤلف الربيع وقصص اخرى »

obeikandi.com



obeikandi.com

أ . . .

كان بالقلب ظلام . . .

واكتنفت النفس وحشة . . .

والذهن غمره التشاؤم حيناً مديداً . . .

أما الوجود فأحسسته ثقيلًا مملولاً . . .

أ . . .

وافيت بعدها كالعلم المعسول كله مني . . .

أبدت الأسمى ومحوت العتمة . . .

أ . . .

تقبلي كتابي . . .

هو ثمرة قلب حزين . . .

ولكن به زهر يفوح بالطيب ..

أ . . .

هينى قلبك من جديد . . .

جودى بكل ما يبتغى أخلد الهوى . . .

هيب

obeikandi.com

تَعْدِيَةٌ

لِلأَدِيَّةِ الْآنَةِ مَضِيَّةٍ عَبْدُ

قلتُ

- مهنتي شاقة يا صديقي ، ومن الظلم أن ترهقني بها ،
نغير لو لجأت الى واحد من أساتذتك الاجلاء ، طه أو العقاد
أو المازني وغيرهم ، ففي أقلامهم ما يرفع كتابك الى أعلى
الساكنين وفي مقدمتهم ما يشبع جوعة القراء ويسد نهمتهم .
- بل اساتذتي ، أكاد أستخلص انهم يمينون هذا
الاعتماد منا عليهم دائما ، ولشد ما يرتاحون اذا رءوا
أقلامنا تحاول فتفلق في المحاولة . ولشد ما يطربون لخيالنا
الفتى ، يتخذ طريقه من بداية الكتاب الى آخره ، مستقيما
راضيا ، كأنما ربح من تجاربهم قوة وبقاء ، وكأنما شبت
نقوسنا ورويت نزعاتنا من منطقهم العذب وتحليلهم الرائع
السليم ، فراح يدور ويدور ، ثم ينصب في كلماتك أو كلماتي
كصدي لروح المجتمع الذي باتوا ينشدون .

- ولكن اساتذتك لشد ما يفضبون اذا رأوني وقد
قهرت ، ولشد ما يقسون في عتبهم وإيلامهم اذا لم تصدف
ثقتك في مكانها الذي تتوقعه ، واذا فشلت ولم أوفق في

تقدمة كتابك على النحو الذى ترجوه ويريدونه لك بل
واغناه .

- بل هم لا يستروحون منا الكمال بقدر ما يستروحون
فننا اللاعب الرقراق ، مرة بخطىء وعرة يصيب ، تأثها هنا
وموفقا هناك ، فاذا أمسكوه وحاولوا اصلاحه واقام بالمثعة
وجديد المشاهدات . وهنا لا تلمسين لنقمتهم أثرا بقدر ما
تلمسين الرضاء الساخر والعتب الرصين ، ثم أنت لا تشهدين
فى عيونهم وقد شبت من مثل أقلامنا المصيبة النافرة ،
غير اعزار الماضى وتدليله فى ذواتنا

بل هناك حبهم ورضاؤهم يتفضل الى واليك والى فنى
وكتابتك سواء رغبنا أم لم نتوقع ، وسواء عاشت فينا
آثارهم أم عشنا للنسج ونجدد على المنوال الذى كانوا
يريدون

وعلى هذا تركت صديقى ورحت أنخذ طريقى الى الكتاب
كقصة . وكقصة مصرية تعرفها من اسم « مديحة » ونحسها
فى هذه الكلمة الشرقية المائلة .

وقبل أن أقفل هذا لفتتنى إشارة القارىء الخفية ونظرته
الملحة الصامته ، تسألنى سؤالها الأبدى ، ان كانت للزميل
قصة فى حياته . وان كانت تعيش وتكن رواية المؤلف ضمن

ما يحويه كتيبه وما يفصح به قلمه وما يديه ؟ . . .
ولا تخرجني هذه النظرة من عين القارئ بقدر ما
تعجبني وتشجعني على المضي في الحديث . فمن منا قرأ كتاباً
الا وهذا الخاطر يساوره ويستغويه . وهذا الفضول اللذيذ
المستحب يحركه بعين عطشة وأنامل باحثه منقبة ، تجتاز
الكتاب من أول حروفه لآخرها في رشاقة وتفنن عجيب ،
يتضاعف في كل مرة ليزيده حنيناً على حنين ، ويحيل توقعه
الى رجاء وأمل وبقين . هو الذي ألمحه اليوم في عين القارئ
فيكاد يحملني على اللعب بشعوره هو والمؤلف سواء ، فأسوق
لهذا ما يطربه ، ولذلك ما يعجبه وما يرضيه .

على أن هذا لا يكاد يمر دون أن تلحظه عين المؤلف
نفسه فتراه يغض عن هذا حائراً متخوفاً لا يدرى بماذا
يكون الجواب ، بل انه ليشاغلي عن هذا برأى في مقدمة
الكتاب ، يظن أن في سياقه ما ينسى القارئ سؤاله الملح
هو يغريني بالنقد ويشجعني على المضي ، ناصباً لي شركاً
لو سقطت فيه لساءلني القراء « وماذا تركت لنا بعد
قراءة الكتاب اذا واليته بالنقد أولاً وآخرأ ، فاخذت علينا
تيار الحكم والتفكير في تعجل ما قبلناه ، ولا اتفقت كلمتنا
على القنوع والتأثر به ، ولو حملنا لك التجريح على محمل
النقد ، فهناك المحاباة والمديح والاطراء . حذار أن تقربها

ولما ننته من مطالعة الكتيب بعد « فاذا سلت بهذا عادوا من جديد يستثيرون فضولي ويضمون صفهم الى صفى ، فى نبش الاسرار وتتبع الغيب ، ثم الاتيان على خيال الزميل واخراج قصة جديدة قد لا يعرف هو ان كانت له أو لسواه . . وان كان هو صاحبها أم ضحيتها . نختتم بها صفحات الكتاب أو نقدمه ، مؤكدين الى غيرنا أن هذه قصة الأديب الواقعة ، وفى ظلها مثل حكايته ونسج صورته وروايته . فاذا جاءنى غاضباً من هذا التواطؤ المزدوج ، واذا عاتبنى على خياله مجرداً ، أسوقه الى الغير ممزوجاً باوهامهم ، قلت له « دعك من سوء الظن ، فانما هذا وتر فى نفوس قرائك وقراء سواك ، يصح للعلم دأبها أن يعبت بقوافيه ، ولا تغضب بل تعال وارقب كيف يؤمنون ويتخيلون فيقيمون من كل كلمة قبة وقصوراً تحوى بدل القصة عشرات لا لشيء إلا لان نزعة التأليف وافرة فى نفوسهم كما توفرت فيك ، والفرق بينك وبينهم أن تأليفهم لا يعدو دائرة الهمس والسر ، بينما يطلع كتابك على ملا من الناس ليقروا ويعرفوا ، وبينما تتوفر فيهم صفة الحذر والحيلة فلا يعرض لنقدم انسان ، أراك تفتح كتابك على مصراعيه مرحباً بكل نقد ومستسيفاً لكل عتاب .

انت مؤلف فقط يا صديقى ، أما قراؤك فتؤلّفون

ومخرجو قصص . أنظر لقد رغبت عن تصوير نفسك في قصة واحدة ، فرحت ترسمها في أكثر من صورة غريبة مخالفة ، أما هم فلشد ما يحسنون الفن الصامت والاخراج ، فترام وقد خلصوا صورك العديدة وجمعوا شتيها في لون من التوافق والانسجام ، ترام وقد وفقوا اليه وصوروه ، فأحسنوا تصويره يتشبثون به ويصرون على ان هذا فن الاديب وهذا مبعث وحيه وكتابه

أنت يا صديقي غاضب لهذا أو منزعج محتج ، ولكني أتركك في مأزقك وأتركهم في تخيلهم للانتصار ، وأعود الى الكتاب أدرسه كقصة

أول ما يلفتني فيه دعوته الاجتماعية البارزة . ولشد ما يطربني ، أن تنحو قصص الشباب لونا غير ذلك الوصف المزخرف الطويل وأن تكون الحياة لناظرهم شيئا خلاف الاسى والحزن أو اللذة والمفاجآت . القصة . . . ما أحب أن تبقى الى الابد صورة من التصوير فحسب ، بل هناك المثل الاعلى والغاية السامية يجب أن نحويها وتسيطر على جوها .

يكفى أن تقرأ « مديحة » فتلمس شعاع النور يتدفق

الى كيان الفتاة ، والفتاة المصرية ولا شك فيطلعها على علاج حالها ويربها منفذ الثلثة التى تفقد منها انوثتها ويضيع منها بهاؤها ، فتعيش وقد حرمت شاعريتها ومات خيالها ، كالدمية لا اكثر ولا أقل ، إن غمرها الحسن فمن هبة الله لا من صنعة حواء ، بل هو إن حواها فبلون من الكلفة والادعاء وتحت بارقة من بارقات التقليد . يريد صاحبي أن تتدرج من « قرن الحاجب ونزجيج الهدب » الى سر الفتنة وبلوغ روعة الفن .

لا يصف الاديب فى « مديحة » غير الروح الاخاذة المائجة ، خصلات من الشعر الاسود ان ماجت وتناثرت فلان صاحبها قد سمحت للخيال الشعرى يعبث بها كيفما شاء ، فما لجأت ليد الصنعة وقطم الحديد والصلب والعاج ، تحبسها وتحنقها وتجعلها والرأس قطعة واحدة وحدتها « المودة » ولحمتها قيود جميلة ولكنها حمقاء . . فادا خطرت مديحة للبيان فقد سال اللحن من شفاها دفاقا ، وقد شمت الرهبة من عينها واناملها ، فحملك كالثائى الوسنان الى واد لا تلقى فيه شبح المرأة بهيكلها الحى وشكلها المجسم بل تلقاها كصورة من أطياف السحر وخفقة من خفقات الروح غلکها المرأة فتشعبها ولا تفقد أو تعطى من روعتها كثيرا ولا قليلا . وشعور الرجل لا يموت تجاه مديحة . ابنة الفن

والشعر وكتلة الوحي والاخيلة والاحلام ، بل هو يعيش في
ظلال هذه الفتنة ويسمو مع اسكار وايلد في عبادة الفن
وتقديسه ، ويأخذ عن أمة الرومان فناءها في قطع الرخام
والمرمر والتماثيل ثم الحانها السماوية الخالدة . لماذا نيرم بالحياة
وصاحبي يأتيها صفحة من كتاب الابدية ، تجتمع فيها رسالة
المرأة بخضوع الرجل ، ثم يرددان سوياً نشيد الفن والعظمة
والجمال .

* * *

فاذا فرغت من دعوى الأديب الفنية فعد الى قصته
« الفنان » وهناك تساءل معي أن بقيت لفتاة عاتية رغبة
في العبت أو المجون بعد الذي تلقاه من موقف صاحبها العزيز
الكبرياء ، والذي شاء المؤلف أن يجعله فناناً ، تأييداً لدعوته
السابقة ، أفلم يعطها من قلبه كنزاً لو حفظته لظل لها الى
الابد نبراساً من النور والبقاء تعيش من سموه ويفذوها
حنانه الزاخر وعذوبته ، ما لها قد جرفها البحر والرمال ،
فساخت اقدمها ولما تصح الا والفجيرة تهم أذنيها ، وصورة
الرجل الأبى تنملس في ناظريها فلا تعود ولا تحي ، ولا
تطالمها بغير الحسرة وندبة الفتاة في كبرياتها وكرامتها تعيش
وتستقر لتكسو مستقبلها بذلك اللون من الشك الهائل
الرهيب .

ماذا يجديها أن تكفر ، وقد قطعت صلتها بالحياة فعاش
الناس على سيرتها الماضية وعاش تاريخها على أثر الفجيعة أو
التوبة والغفران يتردد ويتقلص ثم يبرز صارخاً مستعظفاً لو
نسى الناس هذا الماضي أو أسدلوا عليه حجب النسيان
أنت حائر يا صديقي القارىء ، لا تعرف ما مستقبل
الفتاة التى مثلها الزميل المؤلف . وإن رجوت أن لا يظل
حسيراً كائياً على طول الخط ، ذلك لأن نزعة الخير ما زالت
تصالحنا مع المرأة الخاطئة ، فنظل نرجو لها الافاقة حتى
آخر لحظاتها ، ونظل نعطيها شيئاً من العطف ، ان مازجه
اشفاق الحسرة والاحتقار فحسبها ان تعيش في ظلاله وأن
تستعين من وفرته قوة تعينها على احتمال أيامها الباقيات ،
وتعيدها الى حظيرة الانسانية مطهرة منقاة ، بعد ان تمر في
بوقة التجربة وتغسلها دموعها من خدعة الهوى ولطمة الماضي
الثقل الحزين

بقى على أن أقودك من جريئة المرأة الخاطئة الى جريئة
المجتمع المتسلط الجبار ، ولا أدري لماذا نقسو في حساب
المرأة على جرمها ونترك للرجل حرية التصرف في أمرها
وموافاتها بنصيبها من السعادة والشقاء

أقسوة من البشر ان ينحو الى الانتقام ولا يرى سبيل
الرحمة ؟

« وعلى المذبح » يريك الاديب ، صورة من هذه القسوة
الهائلة ، تصم جبين المجتمع وتسجل أن في الرجال من يعيش
ليحرم المجتمع زهوره ويجرد الانوة من تراثها العزيز
لا شيء إلا لانه رجل ولان الطبيعة قد عودتها هذه
التضحية الباكية الحزينة .

ولا أحب أن انت الطبيعة بالظلم ومعصية الله ، فقد
اقنعتي المؤلف بغير هذا وقد ضرب على وتره الحساس
متذمرا من حشو التقاليد البالية ، ومن جهل المجتمع بحرية
المرأة وواجبها عليه

مأساة وإن لم يعقبها الموت دائما ، فهي تعيش تحت
انقراض البيوت ولنا فيها عبر لو نالت الحادثات حظها من
التحقيق ، هنا تموت الآراء وهنا تداس القلوب ، بل هنا
يمثل الوالدون دور التاجر والرابح الوسنان يسيل الذهب من
انامله ويلبى الصفقة عن جشم وإزدراء ، فاذا نادى البعض
بحق المرأة ، علوه بسفورها الكاذب ، وعالجوه بتلك الحرية
المكذوبة .

« هذا بلد لا ينفع فيه نداء المرأة لتنال حقا من
حقوقها ، نيم أهله العناية بالظلم واستمرهوه فلا يرجعون ،

ووقفت هي تصلد للجهاد فما قدرت لانها عزلاء ، حتى إذا
قيض لها القدر من ينشلها سخر منه اغلب القوم وهلموا تحقيرا «
وهل أريد دليلا على دعوة الاديب الاجتماعية الناهضة
بعد هذا النداء وهذا التحليل ، ولعمري لو ناقشت تصور
صديقي لحالة هذه المرأة ونفسية هذه الضحية ، ما استطعت
أن اصف خياله بغير الابداع والتوفيق ، وأن أرقب تغلفه
في ثنايا الشخصيات بهذا الحذق وتلك المهارة والمقدرة فلا
أدرى أصورة ترسمها ريشته وحقيقته من وقائع الحياة ،
أم صنف من سمو النفس وروعته في اتیان التفنن والخيال

* * *

ولولا اننى وعتدك ألا آخذ عليك رأيك فى مطالعة الكتاب
لمثلت لك اثر الجمال فى كل ناحية من نواحيه ، فى الفكرة
والاسلوب ، والغاية والتعبير .

ولهذا ، أتركك ، واهنى زميلى على توفيقه توفيقاً ما
له مزيد وكم أود أن تظل المرأة مادة للكتابة والبحث فى
كل حين ، وأن أرى حقوقها تعيش لا فى قلبها المحتبس
المخنوق ، بل فى رسالة الشباب ، وفى هذه الرجولة الفتية الناهضة .

عبد الله
محميد

بكلية الآداب بالجامعة المصرية



obeikandi.com

كان الجو المكتنف والبيئة المحيطة مصرية صبيمة .
والأركان والمناحي ، وكل ما بالمكان يتم عن تلك الروح
المستعذبة . حتى البسات عريضة تنفرط في غلو وصراحة
وقهقهة . والشباب المتحمس المثقف في ذلك الحفل المستأنس
قد نسي كل ما يطلقون عليه نموت المجتمع الرفيع . فليس
هناك شخصية ، أو تقليد ، أو عرف ، أو ما يحاكيها .

وصفت الاذهان المرححة من كل ما يجول بها ، الا أن
الساعة بهيجة تفيض بعامر الطرب . والنفس شاغرة خلية ،
الا من دواعي الانس المواتي في تدفع وافراط . وكان
صديقهم الذي يحتفون به ، محبباً الى كل منهم عزيزاً لديه .
منذ صباه كان حليماً يعشق أو ملوكاً يحب . ثم انقضت سنون ،
وتخطى كل مرحلة من الحياة تباين أو تشابه مرحلة الآ خر .
ولكن وذا الصديق دائم لا يحول . فيوم رحل الى لندن ،
ويوم عاد منها ، شعرت هذه النفوس أن شيئاً من الابقاء على
الود يربطها ، وواعزاً يدعوها لتتآلف وتفصح عما تحس به

نحو هذا الخليل . وفي ذلك اليوم ، تذكر كل ثمانية أعوام
خلت . وقفوا في أحد أيامها يودعون حمدي . ثم ذكروا
الدمع ترقرق في عينيه ثم وكف ساعة اخترق الفضاء صغير
البخرة التي تقله ، ثم أيديهم تمتد ملوحة ، وما قيهم بها
مثل ما بعيني صديقهم من شئون .

وسرعان ما أنساهم الرضى الحاضر ساعة فرطت وراح
معه سالف الألم . وأصبح اللقيان المستحوذ هو كل الخواطر
الطروب وماؤها .

— شرفت مصر وأزتها يا أستاذ ...

وانطلق الصوت مفاجئاً عالياً ، كأنما أراد صاحبه أن
يطمس به بعض القوضى المتملكة . ولو ان كلا كان يتجاذب
أطراف الحديث مع آخر ، الا ان غالب رمقاتهم كانت
متطلعة الى حمدي . وخفتت الاصوات لحظة تتطلع الى
جوابه الموموق .

— ياسيدي العفو... أشكرك...

وتبسم لا عن كلفة ، وإنما لعبارة صديقه التي انبجس
منها الشعور القومي الحلو . والروح التي طالما تآقت اليها نفسه
وقما كان بعيداً عن موطنه نائياً عن خلانه . وكان قد دفعه
الحنين الى ان يستمرىء كل ما جادت به الأفواه من عبارات
الترحيب على أثر مقدمه هذا . وانتهز واحد آخر فرصة هذا
الصمت المستوى ، كأن الآذان كانت مرهفة الى حديث يهم
الجمع المنصت وتكلم .

— نريد أن يحدثنا الاستاذ ، فقد اشتقنا الى كلامه
الحلو...

فامتدت البسمات من واحد الى آخر وتطاوالت لدى
حمدي الذي بقي على صمته وسكونه . وإن كانت علائم وجهه
المنسق قد دلت في إفصاح جليّ على كثير من المعاني تجول
وتتضع ، فهو بدا مستسلماً لكل ما يدفعه اليه خلانه من
مطالب ، وراضياً لان يقوم بها . ثم هو الى ذلك يحدث

اديب ، كان ينرم به العقاد ويحبه طه . ثم لانه اذا تكلم يوماً عرف أنه يطرق كل حديث وينامر في أعوصها وأعنفها مسلماً ، الا واحداً ما يفتأ يحيد عنه ويحتويه . هو ما يتصل بكثير أو قليل عن المرأة . ولذا نخلانه يدركون هذا المنعز فيه . ويأخذونه عليه في شيء من الموادة والمذوبة . فان اجتمع يوماً الى من لا يعرفونه ، ونشعب بهم الكلام كعادته ، وامتد الى حديث الحب أو المرأة ، عبر الثغرة في كثير من الصنعة المستورة . وأصبح كل يعرف هذا عنه حتى منذ صغره ، ويستمرى منه شذوذ طبعه هذا . وإن عد غرابة فهي فيه من النوع الساحر الأخاذ .

وأخرجت قلب التبغ وامتدت الأيدي وسرعان ما تصاعدت لغائف الدخان في سماء الغرفة ، وبدأت تتشعب معها الخواطر وتسمو الى كل منحى . وكانت فترة استجمام لما تحفز ان يفوه به حمدي ، ولما أرهف له السمع خلانه . حتى بدأ يقول

- قد يصعب عليّ أن أطرق حديثاً شيئاً لكم ولى

ثم ابتسم واستطرد

- فأن أفلحت في صدق الاختيار فلا تهموني بأني

تعلمت في بلاد الغرب والسحر والكهانة...

وكانت النكات محتبسة في صدور بعض الحاضرين لأنهم

من الشباب الذي يعشق الملح . فقاطعه فكه ظريف .

- طبعاً . وتشوف لنا البخت...

ويديما كل يجهز قولاً طريفاً وتعليقاً مستجباً ، جابهم

حمدي بقوله

- سأحدثكم عن المرأة...

فانبعثت القهقهة من كل فم عالية منغومة بروح

الشباب المرح . إذ كان غريباً أن يتحدثهم صاحبنا عن المرأة ،

وهو أول من جرى في دمه بغضها .

وخفتت الضحكات . وتطلع كل الى صاحبه . وكثرت

بعدها الهمسات التي جاد بها هذا الافصح الغير مترقب .

وأدرك حمدى سر ذلك الشعور البادى على خالصاته ، وأراد
أن ينقذ اللحظة التي غمرتهم بأن قال ...

— أن كان لا يرضيكم منى إلا هذا الطبع الغنيف المتسكن
الذي خلقت عليه ، وإن كان يسترعى فارط دهشتكم لزوعي
الى أمر كنت أجتوى الحديث عنه ، فسوف يرضيكم أنى
سأحدثكم عنه دون ان أهواه كل الهوى ، أو أجنح قليلا عن
الزعم الذي يدور بخلدى عنه . إن كلمتكم عن المرأة اليوم ،
فلن أرفعها فى أعينكم مرتبة واحدة عما أحسه نحوها . هى هى
ذلك المخلوق المستضعف الذى لا أحن اليه حينئذ اليه . ولا
زلت انا حمدى الذى يفيض المرأة منذ الصبي . بل منذ ان
انبعث الى المهد لا يدري من أمر الدنيا إلا ثديها يرشفه .
ويوم ان خلقتة الطبيعة يحتاجها ويتطلب عونها . وانا الذى
كنت اذا ما قدم الى ثدى أمى ، كان يقال انى آخذه كارها ،
وأضعفه بكل ما يسع فى الصغير من قوة الايلام . فاذا
ما ظفرت منها بآهة ، أو بما ييم عن نهرة الاستهجان ، نظرت

اليها طرباً . وتحركت في نفسي الملتوية غريزة البنض تفصح
بالرضى لأنى اثرتُ مكن الألم في ذلك المخلوق ، وأحسسته
بغير الرضى . ولا زلت أنا الذى كنت وأن لم أشب من المهد
الا لأخطو خطوات متكسرة واهنة ، إلا انى ساعه كنت
أظفر بأختى والتقى معها ، تملكتنى قوة ابليس ، وامتدت
يدى الى وجهها رغبة منى في ان افقأ لها عينا ، او اسيل دما .
وشبت أحب الأب والأخ وأميل اليهما اكثر من ميلى الى
الام والاخت . انا هذا المخلوق الذى يدرى من الدنيا كل
ما بها الا ما يسمونه حبا .

وان كانت قد أفلحت المرأة في ان تسلب منى شيئاً طيلة
هذه الاعوام ، فهو انها قدرت على ان أكنم احتقاري لها ،
ولا أعلنه صارخاً جلياً . قد أقابل المرأة في هذه الايام .
فتظفر منى بالبسمات وبالحديث العذب وبكل ما يلائم الترحيب
وكل ما ينتظر من امرى مذهب الى حد يعتبر وفيراً . وهذا
ما يجب ان يحسدنى عليه من توصل الى معرفة طباعى

وخصائلي . وقد يعتبر من لا يدري من حقيقة أمرى شيئاً ،
أن ذلك ميل طبيعى وتواؤم معهود ، جبلت عليه النفوس منذ
خلقها . ألا أن المرأة مع كل هذا مخلوق بغيض ، خاصة إذا
وقفت في فترة دوما أعدها لعينة ، على مبلغ ضحاياها . أو على
شأن من شئونها التي يكون نصيبها فيه كامل الظفر على الرجل .
في تلك اللحظات أحس كأنما الزمن الجارى قد توقف عن
مسيره ليشهدنى على أنى مهزوم لا محاله . وأن المرأة أن لم
تتساو مع الرجل شخصية ومكنة ، فلن تضيف عنه أو يأنبها
الوهن إن وقفت في الحياة الى جانبه

ثم توقف برهة . وتحرك حينه الى التدخين ثانية كأنما
فيه وحى من الفلسفة وسيل من عذوبة الحديث يتدفق .
فعاودوا الكرة جميعاً ، وأشعلت عيدان الثقاب ، وقارب
الواحد منهم فيه القابض على السيجارة من يد الآخر ليلهبها ،
وكانت لحظة اغتتمها صاحب الدار ليتكلم

— أتذكر يا حمدى يوم ان اعزمت الزواج ، ويوم

غضبت معي بسببها شهراً كاملاً؟ ...

ثم ضحكك عالياً ، وحول الى اخوانه صفحة وجهه
المبتهج لتلك الذكري التي يعيها صديقه وينكرها الباقون .
ثم استطرد موجه اليهم الحديث

- كان يقول لي كل لحظة قبل الزواج ... يظهر أن
أباك اعزم أن يثدك يا صفت وما زلت على قيد الحياة .
وكانت ترهني قائلة هذه لاني لم أكن من السن التي تدعو
الى وثوق من أكثر شئون الحياة تعقيداً . واستمر يبعث في
نفسى كل ما يستطيع به ان يثير حفيظتى ويدفعنى الى احتقار
الزواج والرغبة عنه . فكل الاوصاف المريرة البغيضة
يصورها الى منمقة متبديية في جميع ألوان الصدق . حتى اذا
ملّ ويئس هجرنى شهراً كاملاً . ثم ابتداً بعدها ، وأظن
بعضكم خبر ذلك ، ينظر الى فى شىء من عدم الا كثرات ،
كما لو كنت هبطت الى مستوى من التقدير دون ما كنت
عليه . اذ كان يعد حمدى كل زوج على جانب كبير من

الخنوع والتقييد ، وأنه يفقد كثيراً من الحرية ، ويفقد معها تلك البهجة الملازمة للشباب الطالق ينعم بها في فسيح الاجواء . ولذا فكان ينظر الى كصديق فقد الروح التي كان يشاطر بوساطتها كفثاله ونظيراً . وأنه أصبح لا يجد فيه بعد ذلك ، الرفيق الذي تنفرج أمامه كل مناحي الحديث . بل كان يشعر بأن دافعا من التحفظ يرغمه على مسلك خاص يتبعه معي . ولولا ان الزمالة كانت تجدد خالص الود وتنمشه ، لاجتواني حمدي الى اليوم

ومن أغرب ما شهدت فيه ، انه عندما وضعت زوجي مولوداً أنثى ، امتعض كثيراً وتبرم . وتخيل ان هذا مغمز للنقد جديد . ثم من الغريب أيضاً ان ابنتي هذه كانت تحبه أكثر من حبها للحلوى . . . بل ان شعورها نحوه كان يعدل ما تجود به من عاطفة نحوي . بل انها ما كانت تقتبط للقياني قدر ابتهاجها ببقاء . فاذا ما زارني يوما ، وسمعت صوته الذي يرن في أذنها بنغمة تدركها للحال ولو كان في هيجة

زحام، جرت اليه وارتمت بين أحضانه . فيستقبلها بأحاساس
يغلب عليه الفتور والتكلف . ثم يربت على كتفها وبعدها
أشعر يديه تحملانها بعيداً . كأن يدفعها الى تركه في حركة
مستظرفة . وكثيراً ما كان يجلب لها معه الحلوى والكرات
الملونة وغيرها مما يعشقه الاطفال ، لا لأنه كان يحب تلك
المخلوقة ، بل لتأخذها وتجرى بها بعيداً . فيتخلص منها
ويرتاح ...

وسافر الى لندن ، وكانت هي وقتذاك في السادسة
واستمرت تذكره حتى هذه اللحظة باخير وتسألني دائماً ...
- إزى بابا حمدى يا بابا ؟ ...

فلاستقبل الجمع ذلك في شيء من الزاابة والدهشة . وان
كانوا قد استشعروا بعض الفكاهة المقبولة في الحديث عن
الطفلة ، وأعجبوا من ذلك الشذوذ الجديد في خلقها بقدر
الغرامة المتحكمة التى تداخل نفس حمدى منذ طفولته الى
هذه اللحظة .

وأردف صفوت ...

— والآن اترك لصديقي حمدي فرصة ليتم حديثه
الشائق .

وهنا بدأ حمدي يتحدث بعد أن أشعل من نهاية
سيجارته أخرى جديدة . قال

— كل ما جادت به قريحة صديقي لا غبار عليه . وأنها
لذكريات لو قدممت على شيء منها ، فهو فواتها في ادبار سريع
سالبة معها أهنأ اليهود وأرقها . ماض إذا وازنته بما أنا عليه
الآن رجعت كفته وكان فائقا . وإن كنا نعشق الماضي يوما
ولم تبد عليه سمات تميزه ليفضل سواه ، فهذا لأننا لم نجد من
الحاضر المملول ما يزيد به عليه ، ولم نشهد من خبايا المستقبل
ومستسرة ما يشعر بما هو أبهج منهما وأسعد . وحسب المرء
أن يهنأ بماضيه الناعم إذ تكون النفس فتية لم تذوق بعد إلا
حلو الحياة ...

بالامس لم أكن أدري من أمر المرأة شيئا إلا أنها

مخلوق أحس نحوه بشتى الوان البغض والكراهية . ولا يتجسم لدى من الأحاسيس بخصوصها ألا هذا . أما نفسية هذا المخلوق ، أما مواطن الملاحاة والفتنة والأغراء فيه ، أو تفصلها لديه ، أما ما يجب أن يكون عليه ، فلم تكن تعينى أو أشعر بشيء من الاقتناع في درايتهما . وكنت مستمتعا حقا بعدم الاكتراث الذى يملأ جوانحى . أما اليوم فأنا غير ذلك . اذ كثرت خواطرى عن المرأة ، لا لآنى حننت اليها ، وكدت أغزم بها ، بل لآنى أحس اليوم أن ذهنى يرغب فى أن تسم منطقته معارف الدنيا والآخرة . وألا يتخلف شأن من شئون الحياة الا تحرك له . وهكذا أمكن للمرأة أن تستغل بعض تفكيرى المصحوب بغير قليل من النعمة والزراية .

ولعل اكبر ما دفع الى ذلك كله ان المرأة اصبحت مشار التفكير لدى أغلب أفراد المجتمع الحديث . فكل أديب أو فيلسوف أو اجتماعي أو محدث ، لا يخلو من

التعريج على أمر المرأة يتناوله بالنقاش والتحليل ، وكل امرئ حالمًا انبعث الى ذهنه رغبة الى ذلك زكت في نفسه وألحت كل بواعث الاصلاح . وتبدى له جلياً أن هذا المخلوق على جانب كبير من النقص . وأذكر انى في اختباراتى عن المرأة الغربية ، وجدتها تخالف الشرقية وتفضلها ، وخاصة المصرية ، وتسمو بكثير من المواهب والخصائص عليها . وأقول المصرية بالذات لأن من الأمم الشرقية من سمت المرأة بها الى ذلك الدرج الذى وصل اليه الغربيون . وأن انعمنا البصر فى أدق مواطن الضعف واجلاها ، وجدنا ان ثغرة فى حياة المرأة لدينا ، لو امكنها أن تملأ فراغها بما هو أجدى عليها وأسبق الى رفعها ، لزالها خير وفير . . . اما ذلك الذى ينقصها فى كل اطوار حياتها ، فهو ، الفن . . .

وبعث ذلك اللفظ الجليل وكأنما استجلاه بعد طول جهد وطويل عناء . أو كأنما تحتم عليه أن يقطع أوصاله

نبرات لتجاولو لجميع الآذان المرفهة الى حديثه . واستخلص كل معارفه بمض الهدف الذى يرمى اليه حمدى ، وليس مرماه كاه . وعند ما توقف عقب الافصح ، ودَّ كلُّ لو ينطق المحدث الى تفسير اكثر من هذا . . .

كان يترقب صاحبنا أن كلا سيرجح رأيه ساعة ينتهي به الأمر الى الافصح عنه . وأتهم من الشباب المتأدب ذوى الحجى ، لا بد يذهبون مذهبه ، من أن المرأة يزابل الفن حياتها وينتقصها حرمانها منه . وكان هو فنانا يتذوق الحياة كقطعة لا يقبل عليها أحد لو لم تختلط بها الوان الفن وتصبغها ولو لم تكن الحياة صورة للفن الرائع الصافى لما استساغها حتى ، أو رضى بها أحد العاشقين .

وهو في كل منازعه الذهنية يرجح هذا المبدأ ويمجب بمن ينادون به . فأوسكار وايلد أديب فنان لم نظفر بواحد مثله فى كل ربوعنا . ولو وجد مع هاردى وسواه

من الأدباء والشعراء ، لعرفنا كيف نتلمس الفن في الحياة غاية ومبدأ . يقدر وايلد لأنه حمل في حياته رسالة كهذه وعاش من أجلها ، وتقوم الدنيا في وجهه وتقعده ، وتمتد وتتطاوّل عليه السنة سليطة تنازع عقيدته ، وتقذح سمعته ولكنه لا يني عن ان ينادى في جهرة ، يجب أن تقلد الحياة الفن ، ولا تكون الا صورة منه . جالت بذهنه بعض هذه الخواطر كالاطياف الطائرة المتعاقبة ولكنه لم يطق السكوت بعد أن شاعت بعض معاني التساؤل الملح ، الممزوج بشيء من روح الابهام والنموض . قال . . .

- رحم الله أمة الرومان . شعب لو درى انه كان يعيش لغير الفن والجمال لاحتقر حياته وقرب نهايتها . قنع من وجوده بهذا القدر ليعث مشاعل الفن في الاكناف ثم يموت راضياً . أن لنا الآن بامرأة تتعصب للجمال الفنى الرائع تفنى في نشدانه . ولا ترضى بأن

ترك في الوجود أثراً أو تخلف وليداً إلا ان يكون
نموذجاً لتلك الفكرة وصورة لهذا الحلم وتظنون أن
ايولو وفينوس وسواهم آلهة خلقها الازل وجاد بها
الكون الناقص الى شعب ليعثوا فيه رسالة الاصلاح
والفن الجميل . . وجدير بكل ان يدري أن الرومان
عرفت الفن واستجلت فلسفته واسرارها . ونطقت به
أحلامهم الحيه ونفوسهم المتقدة ثم أرادوا أن يغمروا
به الحياة غمراً وأن يحتموا على الأزل أن يقبل سنتهم
ويرضى بها . نفاقت في أذهانهم صور هؤلاء ونمقتهم
بذلك السحر الفنى المتخيل وفرضت على الحياة أن تقلد
وتنتجهم ففعلت . وكانت الأم تقف أمام التمثال الاخرس
المتحجر وهي في شهور الحمل تستوحيه وتستملى منه
فنا يختلط بكيانها ويسيل في دما وينبعث ليحرك أنفاس
الجنين لبدأ الحياة بتسبيحه الفن والشدو به . وإذا
بتلك الروح تنطبع على الحياة وتسمو بها ، وإذا بهذه

الصور المنحوتة نشهدا بعدها روح وتقود ، بعد أن
قلدتا الحياة .

ولم لا تقوم المرأة لدينا بمثل هذا . ألم يعرف
أحدكم ان الام ان هذبت نفسها ، ونسقت ملامحها ،
وحسنت كل ما يمكنها ان تبث الحسن اليه ، خلقت
لنا جيلا انطبع بذلك اللون الذي اختارته لنفسها ؟ .
ليكن عهدنا الأول في تاريخ نشدان الحياة الفنية عهد
صنعة وتعمل ، فسرعان ما يعقبه آخر فنى خالص
وستصفو تلك الصنعة ليحيا بعدها الحسن فنيا صافيا .
ليكن الحسن فى مبدئه بتنسيق الحاجب وقرنه ، والعناية
بالمهذب وترجيجه فنى اعقاب ذلك يستحوذ ويسود
هذا الخلق كطبيعة .

ثم الى جانب أسباب الحسن الفائق والبدن الناهض
الرخص التي اثنى فى تمام تحقيقها ، فهناك الاسلوب
الفنى الذى يكبت نقصانه من نواحي الجمال وبطمسها .

ألم يشهد أحدكم فتاة على جانب من روعة الحسن ثم هي
الى ذلك ثقيلة الظل لا تجذب ولا تفتن ، ثم أخرى
وأن لم تظهر بلمحة من لمحات الحسن فهي تأسر وتحب ؟
الى متى يعد هذا الشعب الساذج دواعى الرشاقة والخفة
والفتنة والدل كلها خلاعة مقبلة وخلقاً محرماً .

وقطع الحديث رنين الجرس ينبيء بقدوم جديد .
فتنبهت الاسماع المنصبة الى الكلام المنصب فى حماس
وحرارة . وهلت مديحة . وأطل منها وجه صبح
طلول الشمس او احلى . ثم جرت فى خفة الفراش
ورشاقتها ، حتى ليحسبها الرائي انها طارت . وتبعها
للحال صوت والدها ينادى ...

- مديحة ... مديحة ... تعالى سلمى على بابا
حمدى ...

وكان حمدى فى رنوته الاولى قد مرت بمخاطره
صورتها كحلم تمثل فى ذهنه ذكراه . وتبدى له الوجه

كأنه طيف يمر ولا يعي به المزار تمام الوعي . ذكرى
سمة لم يكن يدري من اقرب عهده بها الا مرحلة
الطفولة ثم ثمانية اعوام عبرها اليه الزمن في لحظة ثم اخفاها
عنه . وكانت تلك السمة في طفولتها ككل الوجوه ليس
فيها ما يغري على التمن . ثم رن في أذنه صدى اسمها
حلواً آسراً . كأنه وحده لحن يعشق . وتنسم منه
لونا من الوان الفن الذى ينشده في المرأة من زمن .
وجاءت مديحه ، وسارت الى حمدي في حركة
رشيقة ، ولم ترم بين أحضانه كما فعلت من قبل . ومدت
يدها في دلال طبعي لتحية ، وأحست بعدها ببعض
الجل لعله من استجلاتها للأيام السوالف ، فأنثت
برأسها الى الأمام . وتهذلت غداثرها الفاحمة على صفحة
وجهها لا لتخفى من جماله ، بل لتخلق جمالا ثانياً .
وكلها ...

- لسه فاكرانى يا مديحه ... أنتِ كبرتى خالص .

فرفت رأسها في حركة رشيقة ، رافعة معها خصائلها
لتشيع بها عن وجهها ، فأطاعت وكونت أطاراً
فاحماً يحرس هذا الحسن ويحميه

- طبعاً فأكراك وفاكرة حلاوتك ولبيك
ثم ابتسمت . وتنافر مع الشعر بياض أسنانها .
ثم تناسق معها حمرة شفيتها . وانتظم اللؤلؤ في استطالة
حلوة وأطل على هذه الثنايا فإذا قلجة تنم عن حسن
جديد وإذا روحها تطل منها عميقة بعيدة النور ثم هي
منظورة قريبة . غائرة الى بعد ما بيننا وبين آدم وحواء .
بعيدة الى ملمس الطبيعة الخالدة في عاطفتي المرأة والرجل
منذ بدأ يعمر الوجود ، تسطر ذلك الاحساس الخالد
اللبهم ننكره حيناً ويقهرنا أحياناً . ثم هي قريبة الى حد
أنها تتصارع مع جاحد ينكر عليها ذلك ولا يرضاه .
ويعد ذلك الاحساس التالذزيفاً لا يدوم .

وصرخ الحسن في وجهه ثانية فأفلت لهته صوب

عيونها وإذا ما استجلبتا منه بصره ، راحت حيرتها
وعاودها هدوء وركود . ولم يجرهما مع هذا الاطمئنان
ما خلقنا له . جملة من أحاسيس العالم تستقر فيها ، ومنها
تنظر الروح أيضاً ولكنها هنا لا تخدع ولا تمارى .
بل تدعوك الى ان تطمئن الى خباياها . وتكاد تتوهم انك
تدرى كل أسرارها ولسكنها أسرار جمّة ، يفنى العمر ولا
يسبر تمام غورها . وأنت كلما أنعمت بهما ، فاجأك
سطر من سطور الحياة جديد . وتارة تشهده كلحن
ملك ، وأخرى كنشيد شيطان ولا تكاد مع هذا كله
ترهبهما ، فأنت منقاد الى الاستسلام لهذا الدجن الخلو
يسيل من النبع الذي لا ينتهى إلا بانهاء الحياة . بل
يخيل اليك أن الموت لا يقدر على أن يفيض هذا النبع .
قد تموت ويتدافع سيل الحياة من نظراتها وحسب تلك
الماضى ان يتآمر معها الأهداب والحاجبان لتبدو جميعاً
كالجنة الموقنة تزكو بها أطيب الروائح ولا يدري الموعود

بها أى الآكفاف تجود بالطيب

وأطل من الباب وجه جديد . فنادى صفوت

— تعالى يانوال . . .

وهنا جرت نوال الى والدها وهى ترمى بلحظها
أختها كأنما تحسدها على انفرادها بهذا الترحيب . وهنا
تكلم أبوها

— طبعاً لسه ما شوقتش الصنف ده يا حمدى بك
وقدمها اليه . فأخذها وأجلسها على ركبتيه . وهنا سأل
صفوت ابنته لتلب على البيان قطعة . . .

وسارت فى تودة الى البيان وجلست الى كرسيه ،
وفتحته ، ثم لفتت وجهها تسألهم أى القطع تعزف .
فنهف كل باسم قطعة . ورأى حمدى أن مديحة
ستجابهها حيرة فى الالتقاء . . . فقال . . .

— اللى يعجبك يامديحه

وبدأ اللحن . وبدأت مديحه لحمدى ، بل لكل

الجالسين لحناً جديداً . ويسمعا المرفف ، أو يدفع الى
رؤية أناملها فلا يدرى كيف تجود المبقرية فى هذه
السن المبكرة بمثل أخلد الألحان . وخيل الى حمدى أن
آلهة اليمبوس يعثون اليه مسيل الأوتار يتسقطها فى
الوادي .

وتجاوبت أصداء الحيرة فى نفس مديحه ، حيرة
أربعة عشر ريعا تتوئب فى مثل وسعة الفضاء تبدئى
استقراراً . وفى كل وثباتها تبعث لها فى الوجود لحناً
فيه حدة العاطفة ورقتها وجوحها ، ثم يكسوها جميعا
تواؤم النشدان الحلو يفلت من قلب المرأة على غير وعى
منها مبهما .

وفى لحظة من لحظات العمر يوافى الخلود مرة
واحدة على اكبر تقدير فى فترة تحلو الحياة فى عيني
صاحبها وفى نفسه ، وفى قلبه فتقلب وحدها لحناً . أو فى
لحظة هى نقيض ذلك . وهنا يتطلع المرء الى الافصاح عن

جملة ما يشغله فيبعثه لحنا ، أو أدبا ، أو فلسفة ، ولكن
كلها تائهة . وإن لم تتوفر الاداة لديه ، انفجرت في
نفسه وشاعت في كيانه لتسعد حينا أو لتشقيه .

واشتبكت مع اللحن هذه اللحظة التائهة ، فإذا كل
ما تعزف به مديحة لم يكن قطعة منغومة فحسب ، بل
روحا ، وقلبا ، وحيرة وعاطفة ، وكيانا ينشد استقرارا ،
وتراءى له من بعيد يقربه ويأتيه .

وانتهى اللحن ، وما انتهت من الأسماع اصداؤه
ورنينه . وما كان أحد قد تبقى فيه من البصر ما يشهد
به مديحه تعزف ثم تنتهى . شهدها أغلبهم في لحنها .
شهدوها كالحلم الطامح تكتفه حقيقة . وحتى حمدى لم
يدر من أمر اناملها الرشيقة ، أو عيونها حينما كانت
ترفعها لتسبح في جو غير محدود ، كأنما لتقرأ خطوط
اللحن من بعيد . لم يدر ذلك الا بعد أن الهمه النغم
به واوحاه اليه . تخيله ولم يلحظه .

وأعقب النهاية تصفيق . وأحنت رأسها شكراً .
ثم دفعتها ثانية الى الوراء لتمنع شعرها الملازم في الحلاح
حركات وجهها .

وبمدها انطلق صوت رفيع صغير تتجسم فيه كل
معاني السذاجة الحلوة . . . وكأن علائم الرجاء كانت
تجول في القول اذ سألت نوال . .
— مديحه . . . غنى

وابتسمت مديحه . وابتسم أبوها . ولم تفه بكلمة
يتلمس منها الرفض خاصة بعد ان ساد المكان تلهف
شائع الى الافصاح الجديد تجود به عليهم مديحة .
وانبسطت الاسارير ترحيباً بالتغريد الموعود . وكان
على الوجوه لون حنين صامت تكاد تنبئ عنه نظرات
أو شكت تتخطف اللاعبة ، ولكنها ترتد في غير يأس
وقنوط .

وتدفعت الى الوجوه وشاعت كل دواعي الطرب

ونشوته ولم يكن قد صدح البلبل او غرد بعد . كأنه
قد تسرب الى نفوسهم الهام حلو من ذلك العنصر الفنى
الذى يختلط بالحياة فيبهجها وينحها الرونق الأخاذ .
وكانت رسالة الفن التى أفصح عنها مضيفهم ، وُغمرت
بها الأفتدة ، قد تلومت بها وأشبثت أذهانهم . حتى
اذا ما وفدت مديحة انطبع رأى حمدى وإبحاؤه الوليد
وبات عقيدة راسخة . والتمحوا منها وهى تعزف اللحن
على البيان نغما حلواً يسيل من نبع الفن ليطلعهم على
جماله واسراره وخبائاه . وتفت فى اذهانهم وشوارعهم
ان المخلوقة تطلعة من الحياة تمردت على الواقع المملول ،
وافلتت منه الى ناحية زاخرة بما يزكى استساغتها ويبعث
الاقبال عليها . حتى حمدى استقبل ذلك الخلق الجديد
المتوائم المشتهى فى كثير من الرضى والابتهاال .

ثم غردت . . . واستنامت أسماهم اليها . وراح
كل يسبح فى أجواء يستعرض فيها كل ما عهده مما

سلف؛ أو يحلم بما يتناه من أسباب السحر والجمال وما
مر به من صوره . وأثار أجمل الشدو أجمل الذكريات .
وكانت الاخيلة صافية مهذبة لا تستقر فيها الا المعاني
الجميلة ، أما صاحبها فقد لا يجهد لتعيه ما دامت تستمتع
بفيض الفن والألهام على مثل هذا النمط العبقري
السامي .

ولم تشغل مديحة طويلة الا خيال حمدي . عزفها
وشدوها وقوامها وملاحها وكل ما يشاطر هذا الكيان
ليجلب اليه الفتنة العامرة ، كلها جالت بخاطره واسترعت
وتحركت لها فلسفته القديمة . وما كان يحن الى ذكرها
وان يكن الجو المكتنف يسمح بها ويوحى . بل قد
يكون استعرضها فما دامت عتمتها وسط الوميض شيئا .
كان قد تمثل له في مديحه فلسفة الاجيال كلها . ماضى
منها وما سيعقب . وتمثل له اللون الذي يشغل منه
نفسه كشائبة كدراء أو كالغبر الاغبر قد علق بشرط

من عمره . وبدأ له ان هذا الشطر تافه مقيت ولو ساد
أجله كله ، الا تلك اللحظة التي نعم فيها بالحب يهوم
على روحه ويسمو بها . واحتقر شوبنهاور وبرنردشو
وغيرهم ممن قلب الوهن حياتهم تشاؤماً . وتخليهم فئة
تضر فلسفتهم اضعاف ما تجدى وتنفع . وادرك ان هذا
الشذوذ المتأصل الذى يعلق بالنفس فيدفعها الى تشاؤمها
يفقو لو لم يحيه التماذى .

وذكر للحال ان شو نفسه أحب يوماً ما ولا
يدرى فقد يكون حبه باقياً كامناً فى أغواره الى اليوم .
غير أنه لم يغلب بحبه هذا الطبع البليد والنزعة العاتية
لديه . اذ كان يحرم على نفسه لقاء الكوكب الذى
يهوى وان كان أبهر الكواكب جمالا . وتجسم لحدى
هذا الخور النفسى فلم يرض به . واحتقر نفسه اذ كان
يقدره يوماً ويبجل أصحابه .

وعلى تشاؤمه بأنه بنى على أنه لم يشهد فى المرأة

فنا قبل اليوم . وها هو قد وجدته مصوراً ناطقا فائضا
في مديحه . . .

وأكملت شذوها واستأذنت لتخرج . وهموا
جميعا بالانصراف بعدها إلا حمدي . فقد ألح صفوت
في بقاءه ، وأظهر هو أن هناك أمراً سوف يتكلم معه
بشأنه .

وبقيا سويا بعد خروج خلانهم

وتكلم حمدي

- هل تشمر يا صفوت بكامل السعادة في حبك

وزواجك ؟؟ ...

قال بعد أن ضحك

- طبعا سعيد جداً : انت لسه مش عارف ده الى

الآن ...

- بدأت أحس رغبة ملحة في أن أغير مجرى

حياتي ..

- يظهر انك بدأت ترغب في حب وزواج .
- أحبيت وانتهى الأمر
قال مقهقهاً

- وفلسفتك القديمة عن المرأة ؟ . . .
- عفت

- والفن الذى تنشده فيها ؟ . . .
- وجدته . . .

- كاملاً كما تبغى ؟ . . .

- نعم . . . أو يكاد يكون كذلك . هى صغيرة .

أظنها فى الرابعة عشرة ولكنها ناضجة ناهضة . لو
تقدم بها العمر عاماً آخر لاصبحت آية

- وعزمت على ان تفتح اهلها ؟

- نعم افأتحك لانك ابوها

- تقصد مدحها ؟ . . .

- نعم . . . هى بعينها

وابتسم صفوت بعد ان بدت عليه علائم الدهشة

- ايه يا صفوت ؟ انجدنى غير جدير لها ؟

- العفو يا حمدى . . . لا . . . لست اقصد وانما

مديحه صغيرة . وقهقه ثم اردف

- دى زى بنتك يا شيخ . . .

- نعم ولكنها الوحيدة التي خلقت الحب فى قلبى

وبعته . . . فهو لها . . .

- تنتظر عاما يا حمدى على الاقل حتى تكبر ؟

- واكثر ان رغبت فى الزيادة .

- اذا اهنتك . . .

وتصالحا فى حرارة صادقه

- اذا دعنى انصرف لافكر فى أمر الخطوبه . . .

- متى تقدم الشبكه ؟ . . .

- غدا . . .

وانصرف ليسعى الى تحقيق الامانى



obeikandi.com

..... وناحت نوحها الصامت المكبوت . وغزرت
في نفسها المحزونة جملة من دواعي همها المقيم وأسأها
الملح . وشاءت أن تبكى ففي البكاء فسحة للنفس الحسيرة
وفرجة . ولكن كأنما أصاب باطنها شعٌ فما يجود بعبرة
روحها تبكى وإن لم تهم الدموع السواجم أو تجر
شئونها صيبا وتهتانا . . . وجدت العبرات ليتقطر بدلا
منها ماء الحياة .

استمرت على حالها تلك أياما عشرة . تدلف نحو
ربيع العمر وفي إثرها خريفه وعلائمه . ما تخطو قدما
حتى يخلف أثرا مقيتا استواها في تلك الفترة من أجله
ذبول عشرة أعوام . بل لو أن شجنا أرفق من هذا
قد غمر كيائها المشبوب لما مسها مثل هذا الضر والبلاء
علتها غلالة من شحوب الأكدار لا السقم . ثم أخرى
في سمرة واهنة يقيم بها ما حول مآقيها . ثم ثغرتان

بمخديها يفيضات بسائل السحر ، منحة من الحزن لا
الحسن . ثم ملامح نسقها ألم مضمض ضفى ، فكادت لتآلفها
على الافصاح عنه تدل في جلاء على عمق احساسها
وفداحته .

وتبدت رغم ذلك فاته . يروعها الحزن فتأسر .
ويهزل منها كيانها الغض ولكن لتتفرغ الروح وتسمو .
وجمال الروح يخلقه الألم . وإن كانت معانى ذلك السحر
النادر تستسر على صاحبها فهي تبين لمن يدرك ومن لا
يدرك . تشيع على صفحتها بمثل ما يتشع به وجه الحالم
ساعة ينتشى بجملة الآمال ، فما يعود انسانا كما كان
يرى ، بل تزدهم عليه معانى النقاء والطهر والاستسلام
والتشبث بكل ما هو علوى جميل .

وراحت بعد هذه الأيام تبكى . ووكفت جامدة
العبرات سيولا ودجونا . فكان رائيها يحس صورة قطعة
من الجمال القارط الصافي . ولو أحس الى جانب ذلك

مشاعر الاشفاق والمطف فلانها تمحيا مع من يحيون على
الثرى . أما ذووها ، فلو أن أحدا انبأهم بأن ألما يجول
في نفسها ويصول لما صدقوا إلا أن يكون هذا دلاء
منها وإغواء ، أو نوعا من الاحاسيس الطارقة تفجأ الفتاة
قبل زواجها ، فتمنعها شيئا من رجاحة العقل ورزائنه
وغير قليل من الدعة والهدوء .



وطل عليها السحر وهي مضطجعة على وثيرها ؛
وانبثقت خلال الاستار والسجوف اشعاعات مبهمة
غامضة عميقة . وأحست حولها صمتا ووحشة تموجان
فيغمران كل ما يحوطها بألوان من العمق شتية . واستشعرت
تواؤما بين قلبها الوجل وبين ذلك الوجود العامر . كل
منها حائر وجيل . كأنما الطبيعة تحلم في تلك الفترة ،
وكأنما دعته لأن تحلم معها . وما أحلى الحلم يكسوه أمل

في النوال أو حيرة . كلاهما يمنح جمالا . أما هي خيرتها
لأنها تجهل ما يخفيه لها ذلك اليوم المنكود الذي شمت
بوادره . وأما الطبيعة فكأنها حيرى إذ لا تدرى ما
تخزنه من الاحداث لها . وأطلت تتمعن وتسقط من
كل المناحي عونا . حثت الفكر والخطر فاذا بهما يبشران
بثوره . وقامت إلى النافذة تستشف من وراء سترها
بصيصاً يهديها ويرشدها ، فاذا السحر يفنى رويداً رويداً
واذا الفجر قد اكتسى من البروغ رواءً . وكأما السماء
قد جفلت من حيرتها البهمة على هدى الاصباح واشراق
ذكاء . وأحسث هي بغير الرضى . لم تشرق بعد وهجة
في نفسها . ما زالت العتمة تغلب ضوء مشاعرها الجمّة
فتفنيها وها هو الصبح يسير إلى هداه وإلى بلائها .
فيا ليت الوجود استمر سحراً مبها حائراً . . . وبقيت
وقتذاك وحيدة في شجنها . ولو أن أحدا شاطرها
الحزن الذي تحمل لوجدت منه بعض الغزاء . بل الكل

حولها مرح يفعمه البشر والجزل . أهلها يترقبون ساعة
زفافها كأحلى الأمانى والآمال .

وأصاحت أذنيها قليلا فاذا بحركة مائجة تنبئ بأن
كل من بالدار قد صحا وقام . واليوم لديهم جليل موموق
فكلهم به سعيد .

- رياه ! . . . جحيمي نعيمهم ؟ . . .

ورددتها في نعمة مريرة . والنفس بعدها أحست أنها
خائرة مكدوده وسرعان ما تردد دمعا في المآقي . وراح
وجهها تصرخ ملامحه بعلائم التوسل . واندفعت تلتحب
في مثل أنشيج الطفل الغرير .

وسمعا ذووها خارج الغرفة مما خفت فيهم معاني
الجبور . خالوا عبراتها يهي بها فرط الحياء .
قالت عمتها

- ماذا يبدو من بتول توف عشية إلا أن تبكى
نهاراً ! . . .

وأعقبتها خالتها...

- بل هو فرط الحنين

ثم اردفت لإحدى لداتها الحميات

- لعله شوق عنيف انسلّ الى مخيلتها شبحة بعد

أن خيل اليها الفرة بينها وبين أهلها.

ثم أفصحت امها اخيراً

- لا . . . لا . . . هي كمدة رفيقة استوتها بعد

أن اعترزم والدها أن يفرق بينها وبين قطتها « لولو »

وكلبها « هاري » إذ أن عروسها يمقت هذى أشد

المقت وانكاه . وإن كان طيف من هذه الاطيف أو

هي كلها قد تراكبت لتنفث في نفسها الأسى ، فحالما

تقشع وتزول . لتبك اليوم قفى الغد نعيم طريف وهناء

جديد . وطية الايام لا تبدو منها انها تلتوى لها الغدر

أو الخب أو الخديعة . مال ، وجاه ، وصوله ، وسؤده

ولو تكاثفت مع الخصاصه أرباب الشر كله لما قدرت أن

تفوز منها بشيء أو تنال . فماذا تروم مزيداً وتبتنى ؟ . .

— أنعام يا أنعام . . إصحي يا حبيبتى . . .

وسمعت أنعام هتفة باسمها تسترق الى اذنيها الخلى
فعرفت منها نبرات أمها . واستشعرت منها نعمة الطرب
تجول كما لو كان النداء شديداً . ولكنها أحست على
الأثر احساساً طارقاً انبعث في نفسها . لم يكن احساس
الرضى ، ولا هو احساس المقت والكراهية فهي أنبل
وأسمى من أن تبغض أمها . ولكن تبدت في نفسها
مشاعر عطف عليها ، اذ عدتها لا تدرك ما استسر في
نفس ابنتها أو إن ادركته فهي ترتضى خديعة نفسها
كيلا تصدق حدسها .

وكاد صائح من أعماق نفسها يهتف ولكن اللعان
التمت دون ترديد . وبعد أن صبت فترة قصيرة ،
شجعها الأسى فقالت في حيرة كأنما تحدث نفسها

- أماء . . أماء . . حتى انت ! . . يملؤنى
الشجى وتطرين ؟ ما يفهم الاثنى الا مثلها ! ! . . .
وعجبت أن تتغير طبيعة المرأة وتتنكر بالجهل أحيانا
كهذه . فأما ما زالت تكمن بها انوثتها يوم كانت
في مثل موقف ابنتها . ويوم نودى بها لتزف على بلعها
انما أحست ولا شك بعض مطامح الفتاة فى عفوان
الشباب تتدفع لتبتغى تحقيقاً . بل ان آمال الطفولة ومثلها
العليا ، التى تملأ فراغ ذهنها لجديرة بأن تستعرض فى
مثل ذلك . وأول ما ترتجى الفتاة فى الزوج شباباً ،
وعفواناً وسناً مبكرة كسناها ، أو بينها بون غير شاسع
ثم قوام ممشوق وقد تزينه رجولة مستحبة . وإن لم
يكن فلا أقل من هبات تشعروها هى خفية بميل وتبادل
موموق .

تلك خواطر النفس يوم يقدر للفتاة أن تتزوج .
وتلك سنة سطرها الخالق فى سجل الخلق لينهجوها ما

بقى البشر وما بقى النوع . وهذا هو العرف ما ينفع
للنيل منه مدنية أو تقليد أو تطور أو سوؤدد أو غنى أو
جاء . وفى نقضه هدم لأصول التشريع التالذ ومقوماته .
لم يحرمون على الأب أن يتزوج من ابنته ، أو الأخ
من اخته ، ويحلون اليوم زواج رجل من مثل حفيدته ؟
وبزعم الناس أنهم جادون نحو إحراز مثلهم العليا ،
وانهم ينالون منها واحداً بعد الآخر ، وهم يدأبون على
فعل الذنى فى أقدم أسس البشرية وأرفعها ؟

وتناولت خواطرها وتواردت . ثم اهتدت الى
أن تفزع عن هذا ونجويه . فإذا تفيد من الافصاح
دون عمل . وللحال جنحت الى التخلص من هذا الضيق
الذى يفعم نفسها . والذهن خير مهد الى وسائل النجاه . وم
من فتاة وامرأة تنادى برسالة كهذه ، فما وفقت إلا
الى اخفاق . واذا واقفاها . هذا الخاطر احست بعض
السلوان .

اليوم صحو عليل . والشمس تخطو حثيثاً الى كبد
السما لتتوج الطبيعة بكل ما تملك من سنى واشماع .
ولو أن النسائم قد احتجبت يومذاك فلم ترف ولم تعبث
في رقتها ودلالها ، إلا أن الوجود لم يفارقه من الجمال
بعض كماله أو يغيب عنه . فكأنما المرء يكتنفه فيه صمت
الليالى وسكونها ووحشتها . والمكان يحكى في ذلك قرية
هادئة مهجورة ، وان غابت عنه سذاجتها فقد اكتسى
من المدنية أبهة وبهاء . كله دور نخيمة تتناثر كالأنجم
على صفحة فسيحة بعضها تكسوه صفرة الرمل ، وأخرى
سمره الطرق المهدبة النظيفة ، ثم بقع يمنحها النبت خضرة
والزهر ألوانا عديدة . تلك جنان تحتضن كل قصر فلا
يزايله من أجلبها الرونق والألأاء حتى في وضوح النهار .
وها هو الوقت ظهيرة ، وكأنما المكان لا تسكن به نامة
أو تؤمه نسمة .

وفي أحد هذه القصور ما زالت تجلو بداخله بعض
معالم عرس . وأخذت تتخفى برحيل الأهل والاقرباء بعد
الزفاف بيومين . فكادت تكون انعام في بيت زوجها
ذاك اليوم وحيدة ، لا أحد يؤنسها بحديث أو يرفه
عنها . وزوجها شديد التراخي كثير النوم . قارب الوقت
الظهيرة وما زال نائما في غرفته . وهي وإن كانت مضطجعة
في مهادها الى تلك الساعة فما زار النعاس جفניה إلا
لما . وما تذكر أنها هجرت خلال الليلة الفارطة حتى
تنصف النهار الا ثلاث ساعات . وأتى يقبل عليها
الكرى وقد أرق الخاطر وثار مكنم الاسى وتدفعت الى
الذهن المواجه ؟ . . .

ودقت الساعة إحدى عشرة ، فانقطع حبل تفكيرها
ووجدت أنها تنزع في تلك اللحظة عن الفراش المملول
فقامت في تراخي بدن متعب منهوك . وتنعمت حوالها
وللحال تدفقت ثانية الى ذهنها جملة خواطر . . . كيف

أن تلك البيئة جديدة ، والمكان جديد ، وكل ما يحويه
وتقع عليه المين طريف . ثم حياتها بأسرها قد انتهت
في طريق جديدة موهوبة . وكيف يزعمون أن غاية ما
ترجمه الفتاة هو هذا المصير . وهل هذا هو وادى
الرؤى والاحلام الذى تومق اليه النفس وكان يحن الى
ذكره القلب ؟ فيها هى قد نالته فما ظفرت حتى بلذة
الذكرى . كل أحلامه مزعجة لا تبشر إلا باكدار ماثلة
وهموم مقيمة . وهل قدر لها حقا أن يمثل أمامها ذاك
الحلم المرهوب دوما . وان ينقلب واديا للحياة . وما
كانت تظفر بمسول احلامه الا قليلا ، فاذا ما تحقق
الحلم وكان مزعجا يفيض بالألم الكافح ، مثل وكان للمرء
نذير بلاء ١١ . وعادت تفكر من جديد في سبيل
للنجاة . ولكنها ساعة تذكر خاطر الخلاص تضيق الحياة
الطلقة فكأنها أمامها كفة الحابل .

وبينما هى كذلك اذا بالبواب يطرقه طارق ، ثم

يدخل . وتقدم نحوها زوجها العزيز مبتسما . واذا ما
قاربها طوقها بذراعين مرتعشتين دبت في احداهما آثار
الشلل . ولو كانت واحدة في غير رزانتها لجفلت
وصرخت . ولعل سكونها قد وافى لأنها لم تتمعن في
وجهه وتحقق ، بل نكست رأسها حياء وخجلا . وبعد
أن هوى يلثم الشفاة والثغر والوجنة والعين قال
- انت فاتنة حقا . . .

أجابت في مرارة لاذعة

- تمنيت ألا اكون كذلك

- أنعام ! . . هل تحسبن ألما ؟

- وأحس معه ضيقا ثقيلا . .

ثم خطت نحو النافذة تبتهنى فتحها

- الى أين يا أنعام ؟ . . وقالها في دعر رفيق

أجابت

- أريد هبة من النسيم . . ساختق .

وفتحت النافذة بعد ان أزاحت سترها . ثم وقفت
تنظر خارجها حائرة كأنما تنقب عن مفقود في الأثير
تندرع اليه بصرها . وأرادها تقرب منه ثانية في لفحة
مزعجة وفي نبرات أقرب الى روح الأمرة منها الى أى
شئ آخر . وعادت اليه كما أراد وللحال بسط ذراعيه
يخال أنها ترتدى بينهما . . فما فعلت

- أنعام . . أفرينى . . هات قبلة يا منيتى . . .
ولم تجبه الى ندائه . وهوم على المكاف صمت
القبور . ولما توقفت خطا نحوها فى لذة عجيبة أهم ما
تصطبغ به لون الشباب الراحل الذاوى المتكلف .
واحتضنها .

- نونو . . . تمنعين دلا ؟ . . . أحب هذا
السحر منك . وحن الى حديث الهوى . وتذكر فى
ومضة البرق ثلاثين عاما مضت . أو أربعين . يوم كانت
تفيض على الشاعر المشبوبة ثقائه فتكسبها شرة ونشاطا .

ويروح القلب في مثل حيا الذهب الصافي ينبيء في الهام
بما يكمن به ويحتويه . وأيقن أن هذا قد عفا وغفت
أيامه . وأنه يمثل دوره اليوم فهو مخفق لا محاله .
وبدا حديث الهوى من ثمر الكهل الهرم عجيبا .
واستجلى فيه برودة الموت كأنما هو حديث محتضر .
ونجاة انطلق

- أنعام . . لا أريدك تفتحين نافذة أو تطلين
منها . . وصمت برهة ثم أردف
حبيتي . . أجيبي . .
وازعجتها تلك القالة وعجبت لها . واسرت لنفسها
- خاتمة البلاء غيرة ؟ -

* * *

وامتدت راحة يده الى وجهها وتلمسته في لين
ورقة وهوادة واجتذبتة الى صفحة وجهه . حتى اذا
تلامسا ، صمطه اليه في رفق وحنان . وكان أمامها

المرآة تشهدها . وانحرفت عين « أنعام » صوب
صفحتها التي أشرق عليها صورة وجهه يلاصق وجهها .
ما بهرها جمالها ولكن أصابها الذعر من وجهه . قطعة
من الفن الالهى الخالص الممنوح فى ندرة ، والى جانبها
فوضى مستحكمة واضطراب . وراحت ، هى لا تتعن فى
سمتها بل انتقل بصرها الى سحنته . لأنها ما كانت
تبتغى موازنة . وانما أمرت دون وعى بصرها الفاحص .
على بدرها المشرق المنعكس أو هو استملى منه لمحة ،
وانبث فجأة صوب ذلك الوجه المتبهم الملاصق .

ولم ترهبها الدمامة بقدر ما أرهبها العمر المسطر على
الصفحة الداوية . اما هى فما رأت عمرها الغض الناضج جليلا
وما كان المشاهد يتف على حدوده فهو طلق هارب لم
يقيد بعد . وان قيل أن الزمن سطر لها سبعة عشر
ربيعا ، فلا تزعم الا انها بداية فى عمر هذا الشباب
المتبهم المتفتح الناعم . وإن كانت أيامها الأخيرة التى

تفاقت عليها من بدايتها أوصاب النفس وهمومها قد
دفتها في طرق العمر عشرة أعوام ، إلا انها بدت
غضة يانعة مزهرة ما يطبع عليها أثر ملح مما تجلبه
السنون . أما هو فقد قارب الستين . . واخذت الايام
تخط العام تلو العام باحرف من شيب وتجميد .

وكانت المرأة صافية صادقة ، فاجتلى منها لعينها
كل ما خلف الزمن على ذلك الوجه علائم سطوته
وجبروته على البشر العائى . وإن لم يكن الزمن قد قدر
على أن يكسر صلته ويهدم رغائب النفس الجامحة في
غير تعقل ورزاة ، فما هنالك سوى فضلة حقيرة تنزو
سراعا الى الفناء وان تلومت متشبهه لما بدعائم الحياة .
أو ليست النفس في موقف كهذا تفصح في بذل
رخيص حقير عن الثورة في وجه خالق كيانها ، وفي
وجه القدر الذى تسلطه الطبيعة العادلة ليمنح الفرد ما
يحق له وليس ما يطلب ويشتهى ؟ وإن أفلتت تلك

النفس من عقالها يوما ، مهياة الى أن تعود الى تحقيق
ما مضى وكان ، لما انبتت سوى تمردتها وخورها وعدم
كما لها لهذا . وفي وادي النفوس الكهلة يُقذف في
قحولتها بحسان وادي الشباب وحوره وغيده ، تلبية
لنداء الزوة الشاذة ، وليموتوا مثل ما يموت قاطع النياقي
لو سدت في وجهه أسباب الرى وسبل الحياة
ويروح الآباء والامهات ينكرون أطوار كل مخلوق
وقيمة كل طور منها . ينكرون ان هناك طفولة ، وصبي
ويفوعة وشبابا . . ثم آخرها كهولة يلتصق بها
ويستحوذها رويدا رويدا فناء . وان كل مرحلة من
هذه لها مطالبها ولها حقوقها السنونة . وينعكس منها
قبسات تشع على حياة المخلوق من وهج الطور الذي
يشغل . فالطفولة تمنح حياة المخلوق غرارة ، والصبي
عذوبة وسذاجة ، واليفوعة حرارة ومحبة ، والشباب
لهب وتوثب ، والكهولة برودة وفناء عاجل . وينسى

الأهل هذا ، ويروحون يلقحون النضرة والاهاب الفض
والفتح المزهري والشباب الحلو المتوثب بسيول الموت ..
ويقولون بعدها . . هذه حياة جديدة

* * *

وراحت أنعام تهذي وقتذاك خواطرها بكل هذا .
وتسمع لصوت ذهنها وهو يبرق بشتى الوان التفكير
الثوري العميق . وما تحركت عينها صوب السحنة الجمدة
المشرقة على المرأة الا وقرأت في خطوطها النزيرة معنى
وفلسفة جديدة .

ولحظ زوجها شرودها . فناداها وما زال يضغط
براحته وجنتها ويطوق بذراعه الأخرى خصرها .
- أنعام . . . أنعام . . قبليني . . .

وتبسم بسمة عريضه . ورفعت هي عينها الحاملة
الثائرة الى فمه لتشهد كيف يتحدى هذا المخلوق القدر
ويتعس فتاة مثلها . نصف اسنانه اسقطتها الأيام فاستبدلها

نضارا لم يتركه الزمن دون أن يطمس لقدمه بريقه .
ونصفها الآخر ضاع بريقه وعفا لونه العاجي .

وفكرت

— هذا فم قد لا تحبه امرأة تناسب عمره . ولا
تهوى لثمة . . .

وبدا لها فيه سم لغرابته عنها . ما شهدت قطرة
من شباب في ذلك الزوج تشفع له ببعض القرب منها .
يريد ان يشمها لثمة الوجد والهوى ! . هذا يروعا . . .
وساعة طرق ذهنها أنها حليلة هذا البعل الذي يحتضنها
وأن لا مفر منه ، زایلها وعيها . . .

وكأنما الزمن لم يسعدها بأن تغمرها تلك اللحظة
الاخيرة طويلا فأفاقت لتلمح من جديد ذاك الرجل
المتهدم البالى وتشقى به . وفي الوقت عينه اعتزمت أن
تتخلص منه . فاما يقضى ، وإما تموت .

— ٧٣ —

— ٣ —

خرج الزوج صبيحة اليوم الرابع من زواجه ،
وقصد غرفة زوجته كمادته فقابلته في طريقه رسالة
موضوعة على منضدة . وللحال فضاها فكان بها

أبي . . . وأمي

هذا بلد لا ينفع فيه نداء المرأة لتتال حقا من
حقوقها . نعيم أهله العتاة بالظلم واستمرءوه فلا يرجعون .
ووقفت هي تصلد للجهاد فما قدرت لأنها عزلاء .
واستنصرت بكل ما تملك فما أفادها بكأؤها والمويل .
حتى اذا ما قبيض لها القدر بطلا ينشلها ويحميها ، قام
ينادى ويهتف أن حرروا المرأة وامنحوها حقوقها ، فسخر
منه أغلب القوم وهللوا تحقيراً . وقام آخرون ينادون
لأنصافها فكأنما أحبوا لها منكم أن تسيموها الخسف
وتذلوها

لن ينصر الله قوما يقتصبون من الضعيف عزته
ويذلون كرامته . ولن ترفع هذه الامة المغلوبة رأسها ،
مادامت تقوض ركن المرأة بها وتهدمه . أقامه قوم
غيركم فغنموا وعزوا .

هى فى هذا البلد المنكود سلعة يقتنيها صاحب المال
ولو كان بينه وبين القبر لىالى وأيام . ويحظى بها بعل
تمجده وتكرمه لو ابتغى هو ذلك .

غير أن المرأة ان فقدت كل حقوقها ، ولم تنعم
بالسفور المطلق الذى يتغنى قوم بانها نالته خدعة ورياء ،
فما أجدرها بالا تهاون فى حق فيه حياتها . هو حق
الشباب .

ان احتملنا وصبرنا من اجل سواء فلن نرتضى
الحرمان من هذا يوما واحدا .

هذا زوجي . . . بل هذا جدى . يحرم على أن
أرى أحدا أو أحدا يرانى . بل يكاد يغار على النسائم

تلقحني أو الاخ يلقاني .

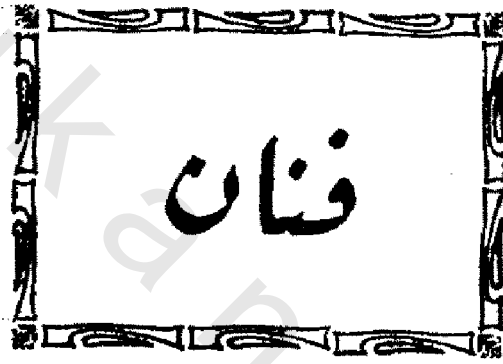
واليوم اعتزمت أن أنجو . وليس أطيب للمرأة من
الموت منجى و خلاصاً . لتكسد أجداثنا ما دام النضال
لا يفلح . ولنترك الحياة للبشر العاني ما دمنا نصرخ
فلا نجاب . وقد يأتي يوم يحس قومي فيه أثر الشهداء
لأمت اليوم فداء ان كان ينفع ابناء جلدتي القداء . . .
أنى . . . وأمى . . . وزوجى . . .

فى عنقكم اليوم دمي إن هدرته . أما روحي فسوف
ترك عالمكم حانقة ساخطة . . .

أنعام

وما كان يكمل تلاوة الرسالة حتى جرى الى باب
غرفتها ودفعه بما بقى فيه من قوة واهنه . . .
ودخل فوجدها قد خنقت نفسها . . .

obeikandi.com



obeikandi.com

- اكتملت القصة ؟ ...

- نعم ... أنتمتها ثم جئت أقابلك

- طبعا طريفة ...

- نعم وعجيبة أيضاً..

ولم يتسم كماداته إذ كان يتبع كل خاطر طريف
ببسة ..

- تضحك سامعها ؟ ...

- تضحكه ولا شك

ثم بقي رزينا هادئا كأنما كبت في نفسه كل أثر
للعانى الجديدة التى تدلف بها أطراف الحديث . فلامحه
مستقرة على ذلك النمط الحالم كأنما أمر إذ يزخر به
خلده وبحويه جنانه . يعينى بعض الوعى ولكنه يستعرض
أمرأ سواى
سأله ...

- فيم تسبح ا يبدو لى أنى أثرتك فمعذرة . وماذا
فى يدك ؟ ...

- صورتها ...

- من ؟ ..

- صاحبة القصة ... هل تود رؤيتها ؟ ...

وأحسست للحال أن بالأمر سرّاً . وأن قصته هذه
لا بد لها شأن باق تهفو لذكره نفسه . فهي ما زالت
راسخة لم تبرحه بعد .

كانت الصورة مطوية ، فأخذتها فى لفحة بادية كأن
فيها قبساً استجلى منه ما خفى واستسر .

لم اكن أعده قبل اليوم يكثر بأمر قصة يثلها .
بل هو اعتاد هذا اللون من الحياة حتى احوالها مسرحاً
لا يكاد ينتهى من موقف حتى يغريه آخر . ويكاد
يجزم لى دائماً أن حياة الفنان لا تقوم إلا على أساس
ملبوس مدغم كهذا . وهو موقن ان شكسبير

لم يسطر بعض رواياته الغرامية إلا بعد أن كان لها في وجوده أثر الحقيقة النابضة والواقع المطروق . وإنه في شبابه المتفتح المتفجر استقبل الحياة كما استقبلها في قصيدة أدونس وفينوس في شيء من المجون المستحب . ثم غالب قصائده الفنائية لم تكن إلا الصدى الحاكي لفترات الجموح الوجداني التي تألفت على الافصاح فيما بعد ، بأروع ما خلف الشاعر الكبير . وجوت كاتب الالمان لم يبعث الى الوجود آلام فرتر خلقها متخيلا أبدعه التصوير ونمقته الملكة الشاعرية فحسب وإنما كان هو فرتر وتألم الله وآب بالحسرة كما آب بطل قصته . ولامارتين ومولير وغيرهم . وقد كان الاخير يخدع نظارته يوماً على المسرح فاذا به يعجز عن أن يدارى حقائقه المريرة واذا الحياة تطل عليه خلال الستار وتصنع هذا الوجود الضيق فلا يعود يجديه الوهم ويقضى على المسرح لان خاتمته الحقه هي أن يموت .

حياة صاحبي قطعة من المشاهد غير المملولة لكثرة
ما تجود أيامه بهيج الحوادث ومعقدها . ولا يكاد يفرغ
من مغامرة حتى تحذو به نفسه الجائعة وذنه الى أخرى .
وإن لم تجد بها الأيام سعى هو في طلبها . ثم يقوم بالدور ولا
يتأثر به طويلا . غاية ما يتركه من ذكرى لوحة فنية
مفصحة ، أو قصة رائعة الادب ، أو قطعة لحن تلتحم
فيها أنغامه مع جملة الشواعر الفائرة التي تفيض بها
لحظات تمثيله . وينسجم كل هذا في وحدة ينطعم عليها
سمة نفسه تتسم بعلائم الفن . مرهف الاحساس الى
حد . ثم هو بعد هذا لا يبارى في عدم الاكتراث الباقي
في قرار بعيد من نفسه .

وهو لهذا يثوى في مسكن كنت أعجب كيف
يرتضيه على غرابة طباعه . بعيد عن مكن الحياة
الصاخبة النائرة التي أثق أنه يحن اليها ويتقرب . في
بيئة هادئة ساكنة تكاد لا تفترق عن الريف العصامت

جل هي صورة منه . وهي ثلاثة كثيراً . يستلهم منها
بعض جمال الطبيعة ويستوحيه في دورها الساذجة وسكونها
المخيم غالب الاحيان . وحقوقها وقد كسها الورود ولم
تبق لاختها الخضرة اليانعة إلا بقعا طفيفة . يقبل على
تلك الناحية العامة بالجمال الذي يهواه . ثم أنت تراه
كل يوم في عماد والازبكية واغلب الملاحى الراقصة
المائجة ببعض الوان الفن البليد . وكنت أعجب كيف
يجمع بين ميلين يتنافى أحدهما الآخر ويناقضه ، هدوء
وصخب ، وعزلة تشبع بالفن ومجتمع متكلف مقلد .

بسطة الصورة فاذا بها لوحة زيتية يملؤها نصف
بدن يناهز العشرين . ويطل منها وجهه لو انه تجسم
لك في معرض الحياة لما وثقت الا أنه طيف من أطياف
الرؤى أو صورة تنمقها ريشة تجرى بالوان الخيال
وخطوط الوهم . ثم اذا أنا حددتها تكاد توهمنى انها
تفيض بالحياه وتزخر بالوجد والهوى والعذوبة وكل ما

يواني به النضوج الأتوى في أول فترات ازدهاره
وتفتحه . وإذا ما تأملتها استجلبت عاطفة طارئة هي
صدق شعور صاحبي . التحت فيها اشعاع من نفسه تنم
عن أنه هوى الفتاة قبل ان يهوى نعلها . وكدت
تنكشف أمامي بعض معاني السر الذي كان يداخل
نفس صاحبي وقتذاك .

قلت في دهشة . . .

- هذا النموذج مدهش . . . من هذه ؟

أجاب في تأوده . . .

- مخلوقه .

- اين وجدتها ؟

- جميلة ؟

- جداً ! مدهشه !

- والفن ؟

- رائع . . . ناطق . . . أجمل وأروع ما
صورت ريشتك !

- اذاً كنت أحبها ساعة . . .

وسكت . قلت

- ساعة رسمتها

- نعم . . . ساعة تأملتها

- من هذه ؟

- تكن . . .

- من عائلة مجيدة ولا شك . . .

وكنت قد وضعت اللوحة مسندة في ركن من

الغرفة يحتمى عنه الضوء قليلاً ، وابتعدت عنها لئلا تأملها

وشهدت فيها روحين . واحدة لها واخرى له . واجتمعتا

فكأنا اعجازا . جمال متبد في ثوب من العمق شتيت

تجود به ما فيها الحاملة الناعسة . وثر يكاد يعتزم على

الابتسام فتشغله عنه نوازع الذهن فتقف البسمة على

اللى حائرة مائجة . وتختار معها ثغرتان بوجنتيها .
فكأنما اعتزمتا على ان تنفرجا فتوقفتا .

وهكذا التمت في ثغرها بسمة وفي خدودها أخرى
وفي عيونها عاطفة تائهة . ثم روح صاحبي تبدت في
تواؤمها مع هذا الحشد المجتمع من الملاحاة الروحية
والقتنة الغضة . وكأنما قنوعه ورضاه بجملة ما النحه
يمحش في المخلوقه ، قد أشرق في نفسه فنقله أمينا
عبقريا . كل ما جاد به أنه أحبها ان تبدو كذلك فاعادها
الى اللوحة كأنما هي قطعة منه .

وبدا عنقها نقيا صافيا تشربه سمرة واهنة تكاد
تذوب في لون البياض الذى يكسو بشرتها . وكتفان
كأنما شرة الشباب قد جرت فيهما فاستويتا في استقامة
حلوة آسرة ، تستنبيء منها عزة النفس وكبرياء فاته .
وكانما رفعا معها الثدين فنهضا في استدارة ريفية ساحرة

قلت في تمة بين منها انى أكاد ارجوه ليوقنى
على ما اسأل

- اين عرفتھا ؟

- في قطار .

- لا تهزل .

- بل أنا جاد

- قصّ علىّ أمرھا

- طويّلة قد تملھا

- بل أحب الىّ أن تكون كذلك

وصيت برهة ثم سأل

- تعلم طبعاً أنّى كنت في سفرة الى المنيا منذ ثلاثة

اشهر

- نعم . . وأذكر أنّى لم أرك بعدها إلا اليوم

ومرة أخرى

- لم أمكث هناك طويلا . بضعة أيام علي ما
أزعم .

ثم أبت بعد أن اشتد الى العودة تلهفى وحنينى .
ولست أدري هل كانت عودة ميمونة أو سوى ذلك .
سوف أترك ذلك الحكم لك واقتصد في التعليق على
جملة ما يوافيني من خواطر على أثر ما أفوه لك به
خشية أن يطول بنا الامر

لم أكن قد شهدتها إلا قبل أن يتحرك القطار
بثلاث دقائق . كنت أطل من النافذة إذ كان يقف على
الأفريز صديقان اعترضا يومذاك توديعى . وأقبلت في
خطوات سريعة تحفها الخفة والرشاقة والدلال المضطرب .
واتجهت العيون نحوها تتبعها وهى تجرى ، حتى
إذا ما وطئت أقدامها عربة القطار ابتسمنا جميعا رضى
وارتياحا . كأنما نفوسنا كانت ستنبض إن لم تكن .
القادمة نالت مبتغاها . وفي لحظة خاطفة ادركنا جعرة

البارع . وخلصنا انها قد لا تكون شرقية الدم الا في
انها آسرة فاتنة تنبئك بحقة ظلها دون ان تحظى
منها بملحة أو كلام ظريف . وفي أنك تنقاد الى
الاعجاب منها كأنما انبت اليك حنين الوطن واحساس
القربى .

وتشعر أن الشعر المتوج رأسها في فوضى حلوة ،
وتجمد غير منتظم لم تكن تدفع من روحها وذهبها اليه
إلا ذكاء وادينا اللامعة . وتخال إذ تلمحها لأول وهلة
أنها تحمل العود الناهض الرخص الذى يستمتع به رائيه
في بنات الريف . وما سوى ذلك فهي كالنسمة المترنة
إذ تهفو في تواؤم وتناسق منعش موموق . يستروح رائيها
حركاتها كأنما يرافقها توقيع ألحان .

وإذا ما لحقت بالعربة سمعنا كلامها في مثل لحن
مضطرب وهى تحمس الحامل وتشجعه بقولها ...
- لاجرى . . لاجرى . . .

وما أن جرى يتبعه أخوها حتى لحقها . . . وجلست
الى جانب رجل مسن كان يجلس أمامى . وللحال صمرت
القاطرة . فحيت خلانى ، وحيت أخاها بقبلة . . .
وإذ هم بالمسير خاطب الرجل ويده فى يده . . .
- من فضلك . . . أختى . . .

- لا تخف . . .

ونزل وسار القطار . وجلست . وقابات عيني عينها
وأحسست أن كليسا وقد كادت تلم به بعض وخزات
الفرقة قد أنس الى صاحبه . بل إنها لحظة أطلت من
النافذة لتطمئن الى أخيها وتشيعه قبل ان يختفى ، أوشكت
أن تفر من مآقيها المفعمة حناناً دمة فبستها . وإذا ما
تلفتت اليها ، والتقت محاجرنا ، استشعرت بدواعى همها
تزايلها . وفتحت كتاباً كان يبدى ورحت أقرأ . واخذت
هى تلو جريدة فرنسية كانت معها . .
ثم إذا بالرجل يبدأ يسألها .

- أنت من الدنيا ؟ . . .
- أجابت في أدب جم ووقار
- نعم
- الى أى عائلة تنتمين
- من عائلة فلان . . .
- من عائلة فلان ! . . . إذاً الخواجه س . . من
- ذوى القرى لك .
- إنه والدى . . .
- والدك ! أهلاً . . أهلاً . . أعز صديق والله . .
- كيف حاله الان . . لم أره من مدة
- بخير . . . أشكرك . .
- فرصة عجيبة . . . وإلى أين ؟
- الى الاسكندرية .
- ولكن الصيف لم يأت بعد
- سأزور أختي هناك .

- أظن أن الجو هناك على غير ما يرام هذه الأيام . .

- ومع هذا فأنا أفضله كثيراً . أظن أنى تعودت الحياة بها اذ قضيت هناك كل سنى تعلیمی . ولو أنى كنت بالقسم الداخلى كالحیسة الا أنى لم أزهدھا يوماً . وقد تركت المدرسة هذا العام فقط . فملت أن أمكث بالمنزل ، وأرسلت لأختى خفية أنبئها بأنى اشتقت الى الرحیل . فأرسلت تطالبنى وتمخلق لذلك دواعى حجة

- لعبة ظریفة . . تعرفى !

- وسأستعملها دائماً

وضحكت ثم أردفت

- غیر أن والدتى تشدد على أن أمكث خمسة عشر يوماً فقط

- طبعاً اختك ستضطرك الى اطالة المدة . .

- وهذا ما أعتمد علیه . . .

- يعنى فيها للصيف ؟ ...

- تقريباً

وضحكت ثانية ...

وشهدتها وهى تتكلم . اذ كانت لا تنى تحدجنى
بين الفينة والفينة بنظرة فأحس انها تشاطرنى الحديث
أو توجهه الى ... وكلما صوبت الى لمحاتها خاصة وهى
مرحة النفس ضاحكة ، أحسست بغبطة فارطة ،
وابتسمت لها .

وخب بنا القطارينهب الارض ويطوبها ، وتحركت
مشاهد الطبيعة الناعمة تستعرضها عيني وقد بدأت تغمرها
اشعاعات الشمس وهى ترتفع لماما فى الافق البعيد
فتنتف دفتها فى المناحى المترقبة والأبدان اللهى . وأخذ
الصباح المبكر يتقدم فى عمره وتدب فيه حرارة كأنها
نقشات الصبي والشباب . واتعش الوجود الصاحي
وأخذت ترقص أمامى جملة النبت الناعم اليانع والحقول

المخضرة والغدران السارية . ثم إذا بي أنقل البصر الى فتاتي
فاشهدها وهي لا تخفض جفونها عني ، لا تقل روعة
عن هذا الخلق الكامل البليغ .

واللحال نقت في حقيقتي وأخرجت ورقة وقلما
خفا بعد أن غمرني حنين جارف دافق الى أن
أنقل شيئا . ثم أعدت النظر الى الطبيعة الجارية ثم
اليها ، فأرتحت الى رنوتي الاخيرة وكدت أثق ان كليهما
قد روى من نبع الجمال العلوى .

واعترمت ان اصولها . . . وراحت يدي تجري
بقلم الفحم على الورقة جريئة جبارة ، تسوقها دفعات
النفس ووثبات الوجدان الى أصدق آيات الافصح البليغ
واروعه . وكان يخيل الى تارة اني شبت من حسنها
وافعم منه وجداني . وان مشاعري لم يمد بها حاجة
اليها بعد ان استملت منها مؤونة عاطفتي الصادية لتنقل
فنها الصافي . غير اني عدت ارقبها استجماما لأنقل

العبقريّة الحائلة في ملاحظها . فنظرت اليها مدققا . فاستجلت
انى اصورها . فأخرجت للحال مرآتها الصغيرة وارادت
ان تهذب شعرها الثائر وتصلح انتفاضته الحلوة وتنيما
فأشرت اليها بحركة راجيا كي لا تفعل اذ وددت
ان تكون به روح النسائم وفتنتها فرضخت . . .
وانتهت الصورة في دقائق فادرتها اليها لتراها . فلم تمالك
أن اعلنت دهشتها . فتيقظ الى ذلك صاحبنا المسن وكان
يقرأ مجلة معه ، والتفت الى ، فلم يفهم مما دار بيننا
شيئا وعاد الى تلاوته وعدنا نحن إلى نجوانا . نجوى
جديدة سمت الى درج من التعارف الروحي يكسوه
الفن ويوثق رباطه . وكادت تصرخ القلوب لتجوى
أنطق من هذه . وكدت أحنق على انا نهفو الى بعضنا
فلا نتمكن من تبادل الحديث وبيننا خطوات . وسئمت
النظرات وحدها فهي لا تروى ولا تقنع . وأحس
القلب أن حريره حبيسة وشواعره مقيدة ، وأنه يريد

أن يسمعها نبضه المنعوم بلحنه الجديد. وأخرجت ورقة
وقلماً وكتبت بالفرنسية بعد أن جال بخاطري أن
هذه خير وسيلة ...

« جميلتي ... » *

ما كان أعذبك حينما تردد على ثرك الحلو اسم
البلدة التي ولدت بها ، وأظلتني حيناً طويلاً سماؤها .
تثير في نفسي أجمل الذكريات ان نطق بلفظها ناطق .
غير ان ذكريات اليوم ، التي أثارها من مرقدتها حديثك
لم تكن كسابقتها التي طالما أحسست لها احساساً وتيراً .
لم تكن بهذا القدر الضئيل الذي يحن الى استعراضه
الذهن لحظات ثم يغفى . بل هي من فمك المسول أبقى
واكمل . كأنها من فم الخلود . ان في الامر سرّاً .
لست ادري اهو للسحر في شفيتك أم لماطقة الوجد
في قلبي .

* الرسالة مترجمة بقليل من التصرف الذي لا يخل بروحها

أنت جميلة . . . وليس أحب الى من أن أشهد
الجمال ثم لا يضمنى أكثر من أن أشهده ولا أستمع
بأن أرنوله وأستملى منه . غير أن اسلوبى اليوم فى
التقدير قد يبدو لك جديداً . هو اسلوب فنان . لم يقف
على رؤيتك فحسب كأغلب من أحسست جمالهن ، بل
تعداه الى إحساس آخر يرغبنى فى أن أعبر لك عما
تحتاج به نفسى .

ماذا اكتب لك . . . لست اتقن الفرنسية
كثيراً . ولو أننى غير ذلك لقرضت لك أروع الأشعار
وأجل القصيد . . . ولكن غداً قريب . . . قد يمنحنى
قبساً من لغة الآلهة فأشدو لك وأغنى .
يقول لى البعض أن فى روحى كنانة منه خافية .
جمالك جدير أن يفتح الكنز ان تبدت بشائره وكان
مطموراً .

بعد قليل ستكونين فى بلدة الشاطئ . وسابقى

هنا بالقاهرة . أينما حلت فطيف من قلبى يحرسك .
وسعيد مثلك من يرعاه وجدان الآخرين وخیالهم .
إن شئت فمزق هذا أو ابتسمى له . وكلاهما
يعنينى قليلا ثم يلفه النسيان فى الأكفان . وحينذاك
نخاعة الأمر جليلة ، هى أن تموت العاطفة الوليدة رضية
أو احفظيه كذكرى لهوى يدوم ولا يبلى . . .
فلان

ملحوظة : عنوانى كالآتى

وأطبقت الورقة وأعددتها لاعطيها أياها . والتمحت
منها الرغبة أولا غير أنها أمهلتنى . حتى ادعت أنها تريد
أن تتصفح المجلة التى معى وأخذتها بعد أن وضعت بها
فى الحال الرسالة . . .

وقرائتها . . . فلم تمزقها ولم تبسم . وخيل الى
إذا أنها شئت أن تحفظها كذكرى الحب الذى يدوم
ولا يبلية إلا فناءنا . وصوبت الى لهة يتسقط منها

فيض أحساس جديد كأحساسى واطمأن خلدى إلى ذلك
ولم يمض وقت طويل حتى أدركنا أننا وصلنا القاهرة .
وقام كل بعد حقائبه وحاجياته وينفض عن بدنه العثيرة
وتركنا القطار . واستأذنت من صاحبنا الذى الح
على ألا يتركها إلا ساعة يتحرك بها القطار الثانى .
فأبت وشكرت . وسارت وحدها .

وكان فى انتظارى صديق . فوقفنا قليلاً ، وأنا
شارد أشيخها ببصرى ، وبعد حديث معه سأله أن
يسبقنى الى المنزل ويحمل معه حوائجى ، ففعل على أن
أعود بعد نصف ساعة . وبعد ان سرت معه لمأما
عدت الى صاحبتى . وتوجهت الى القطار الذى يتحرك
الى الاسكندرية وكان قد بقى على موعد قيامه خمسة
عشر دقيقة وسرت على الافريز أطل خلال
النوافذ والعربات فإذا بها تنتظرنى . . .
وابتسمت ، وابتسمت .

قلت في نعمة آسف .

- عذمتِ ؟

- نعم

- سأشتاق اليك

- أشكرك . ثم ترددت قليلا وأردت

- وسأشتاق اليك . . .

- سأقابلك قريباً . . إن أردتِ

- أكون سعيدة .

- أكاد أفكر في مرافقتك اليوم . . وابتسمتُ

قالت ضاحكة

- أنت كريم . . .

- وأنتِ . . ألا تفكرين في بقائك معي للقطار

الثاني ؟ . . .

- من الصعب أن أفعل . ينتظرونني هناك بعد

ثلاث ساعات .

- سأكتبُ لك .

- وسأكتبُ لكَّ .

- سألتُ .

- وعنوانك ؟ . . .

- سأوافيك به حالما أصل

ثم سكتنا برهة وبدأت الحديث

- أنتَ فنان ! . .

- مبتدئ . . .

- وابتسمتُ

- هذا تواضع منك . أرني صورتى . .

- آسف . . تركتها فى حقيتى . . سأرسم لك

لوحة سواها زيتية هائلة .

- متى ؟

- غداً .

- مدهش ! ولكنى سوف لا أكون أمامك . .

- ولكن ستكونين ساكنة جناني وخيالي . .
- وتكون مثلي تماماً ! . .
- كما أنتِ . . . أتعرفين « رومني » ؟
- لا . . من هو ؟ . .
- مصور عالمي . . أخرج لوحة خالدة دعاها المرأة
الالهية . . . فكانت صورة تبقى ما بقي معها تاريخ
الفن . خلدت ذكرى صاحبها، ونبه هو بعدها . سوف
أعمل لك أخرى مثلها . . .
- هل كانت حسناء جداً . .
- عشقها الملوك والفنانون والقادة والفلاسفة .
ورومني أيضاً
- ولكن أين أنا منها ! . . .
- وضحكت في نعمة حلوة آسرة
- فيك من الفتنة الناضجة والحسن القارط ما
تريدن به عليها .

- أنت تعالى . .
- ما اسمك ؟ . .
- وداد . .
- أرق وأعذب ما سمعت . . .
- ستذكرني كثيراً ؟ .
- دائماً حتى في صلاتي .
- أتصلي ؟
- لم لا . .
- عاشق الفن والجمال لا يفعل .
- إن وجد سر الملاحاة ونبعها قنع ثم فعل وكان
- كالعابد يحيا في محراب . مثلك فيه شيء كثير من السماء ،
- تذكرى صاحبك بالخالق وقدرته على الابداع .
- تظن أنك تقنع بحبي ؟ . .
- وموقن به .
- أنا شديدة النيرة . . .

- وأنا شديدها .. فاطمى ...
- أنتم كالنحل . . لتجود بالرحيق الموموق لا
تقوتك جملة الازهار ترشف منها .
- ولكن قد أعر على زهرة عامرة تغني عما عداها
- إن فعلت لم يسم هذا القنوع بفنك
- تعين ذلك إن لم أهف الى سواك ؟
- نعم . . الى العديد منهم
- سأنسى الفن ولا أفعل .
- تقدر ؟
- أرغم نفسى عليه . . أنا فنان أحب الأدب والفلسفة
أدري المثل العليا . . .
- المثل العليا ؟ أليس فيها أن الجمال ينشد
- نعم . . أنشده فيك . . .
- واخترق الفضاء صغير القاطرة تعلن انها اوشكت
ان تتحرك . فتهدت .

- انا نادمة . .
- لهذا التعارف ؟ . . . وابتسمت
- لا . . . ليس لهذا . بالعكس انا سعيدة به .
- ما السبب إذاً .
- الوقت . . ولى بسرعة
- بقى دقيقتان . .
- مخيل الى أن أعدل عن هذا القطار ، وأوجل
السفر الى الذى يليه .
- لا . . . لا تفعل . .
- وصمتنا . وعم المهرج فى كل المكان . وأخذ كل
يحي مودعه . ودوى الصغير للمرة الثانية . ومددت
اليها يدي بعد أن مدت يدها . قلت
- سأقبلها . . .
- كما تشاء . . .
- وأخذتها الى شفتى لارشف منها الحُر التى لا تنسى

وشاعت القبلة في كياني لتطمس آثار سابقاتها وتحميها هي . .
ونسيت الثغور التي لثمت بل ذكرتها فلم يكن في مكتتها
أن تنازع هذه بقاءها . .

وأحسست خفقان قلبها . والتمحت دمة تنضح بها
مآقيها . قالت في لذة عجيبة . .
- انت تحبني ؟ . .

قلتُ

- وانتِ ؟ . .
- ألم تعرف بعد . . أهواك كما لو كنت اعرفك

من اعوام

- اخشى ان يكون كذلك الهوى الشائع بين
الناس . اريد الحب تفنى من اجله الروح . اريد الحب
فيه الحياة دون سواه . هل تحيا البلايل إلا لشدوها ؟
اريد القلوب ان احبت لا تنبض الا منغومة بالهوى
ذاكرة له . . .

- لك منى اكثر من ذلك . . .

وتحرك القطار وتحركت معه ولا زلت قابضا على
يدها . ثم توقفت ولوحت لها بمندبلى . وفعلت كذلك .
وفي اليوم الثانى لرحيلها انتجت لها هذه اللوحة
التي تراها . وحفظتها سلوى ، تقرئنى على الصبر وتنسينى
لوعة الفرة .

ووافتنى منها رسالتان . ورددت عليهما بأروع وأجل
ما كتبت . ثم انقطعت عن الكتابة . وقلقت غير ان
املى فى مقابلتها كان قويا .

ورحلت الى الاسكندرية اول الصيف . اى
بعد سفرها بشهرين ونصف شهر . اقطع شواطىء
المصيف بحثا وتنقيا . زرت اولا سيدى بشر . فلم
اجدها . فبدأت طريقا جديدة تبدأ من الرمل . .
الشاطبي فكامب شيزار فالأبراهيمية فاسبورتنج وأخيراً
وجدتها فى كليوباترا . . .

كانت في رداء الاستحمام تسير ومعها شاب كذلك
يده حول خصرها ، وبدنه يلاصق بدنها . وبمحدثها
وقد كاد يطبق فيه على فمها لو لا انه يخشى أن يكبت
نبرات ألفاظه فلا تسمع ، فباعد قليلا بين ثغره وثرها
واكتفى بأن يستنشق عير انفاسها . . . وكانت هي
الآخرى تلف يدها حول خصره . . .

كان يسكرهما الشاطئ عن أن يشهدا سوى نفسيهما
فاذا بهما يرانني أمامهما .

قلت في سخرية مرة لا تخلو من اضطراب نفسي
وخفقان باد .

- أنت هنا ؟ . . .

وكادت تُصعق . وأرخت يدها . وكادت تسقط
لو لم يحتضنها صديقها . وأرادت ان تفلت من يده المطوقة
فلم يسمح لها . وبقي كما كان . . .

قال يسألها في تهكم

— من هذا ؟ ..

ونظر الى في كراهة مقية .

قلت بعد ان اغاظه ابتسامي

— صديق قديم يابك . . .

سألها ثانية .

— تعرفيه ؟ ..

وكادت تنطق إيجاباً فلم يساعدها لسانها فسكت .

قال موجهاً الى الحديث وأنا أحدجه تارة، وأحدجها

أخرى ثم ابتسم

— أنت وقع . . .

قلت

— وأنت والله جميل . أجل ممن شهدت من أقطاب

التمثيل على اللوحة الفضية . حتى رامون نوفارو لا يعدلك

في وجاهتك . ولذا فأنا أشفق عليك من أن أغرس

رأسك الشقراء في تلك الرمال المحرقة . . .

ثم وجهت لها الحديث .
- معذرة يا ووداد . . . لا تهوى المرأة الالهية إلا
الرجل الألهى . .
وتركتها لأنصرف
صرخت

- اسمع . . . اسمع . . .
فلم أجب ولم أعبا
وأفلتت من صاحبها وجرت الى . . وسألتى وهى
تلهث
- الى أين ؟

- الى القاهرة طبعاً . . .
- لا . . . ابقى هنا . . . لا تتركنى . لا يخذلك
جماله . هو يلد ، وأنت الى جانبه جبار
فابتسمت مشفقا عليها . وكان قد عاد الى عدم
الاكتراث القديم الخالد فى قلبى وسحبت يدى

من راحتها في ابتسامة وكل ما قلته لها

- لا تحاولي . . .

وركبت أول قطار الى هنا . وطيلة الطريق أضحك

من نفسي . . .

* * *

سأله وكان قد صمت طويلا والبسمة باقية على

كل ملامحه

- وبعدها ؟ . .

- طبعا تعرف ؟ . .

- أهملتها ؟

- دون شك . وهذه رسالة منها تقول انها تتمذّب

وقد تقضى ها إن لم أحضر .

- والعمل ؟

- انت للآن مجنون . . . تقضى أو نحيا فقد

أصبح هذا لا يعنيني . أنا جائع . . . ألم يجهز الطعام ؟

* * *

وانتقلنا الى الغرفة نأكل . . . وكان كل شيء قد
أُعد ثم رحت أفهقه في صوت عالٍ . . .
قال

- ايه ياسيدى الى اضحكك
- اذا جاءتك لتغفر لها ، وتقدم لك قلبها ثانية ؟ ...
- أطردها .

وقالها في نعمة تدل على اليقين كأنما هذا بديهة
معهودة .
قلت

- مدهش . . . لا أثر لها عندك
- كامرأة عادية رسمت لها لوحة ثم انصرفت ..
- عملت خيراً . . . ولكن تعرف أنها كانت
ستفلك وتفيدك ، وتسلب فنك روعته ؟
- صحيح . أنت فهمت . . . ليكن الفنان كما قالت

كالنحل يرشف من كل زهرة

- حتى يعثر على الزهرة العامرة . . .

- لن يعثر عليها . . .

- أنت تكذب . . . ها هي ذا أُنْتُكَ تائبة ، ولو

قبلتَ لأُسعدتك وحرمت على رضاك

- يا عزيزي . . . أقصد تلك التي ليس في حياتها

ثغرة . . . المخلوقة التي تحبك من يوم يولد لها عاطفة

حتى تنفى . ولو وجدتها وعرفت لها ماضياً ، لما نعمت

به ولو كان أخلد من حب دانتى وبياترس أو بترارك ولورا

...

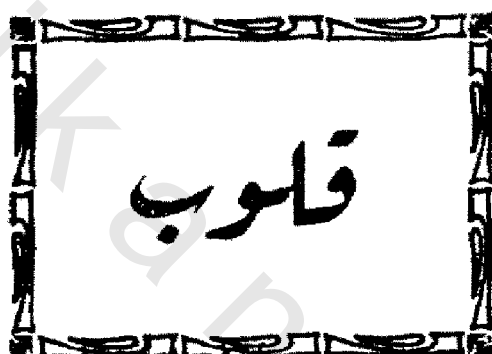
وأكل وهم بالانصراف . قلت

- الصورة . هل نسبتها ؟

- لا حاجة لى بها . . . خذها . . . أو مزقها

وتركها وانصرف . . . ليمثل من جديد . . .

obeikandi.com



obeikandi.com

٢٥ يناير سنة ٩٣٣

مراد

أنت لدى خلانك تارة كاليندوع الدافق الجياش ،
وأخرى فأنت كالنجم الخافى فى مسارب السحب متى
أطلت ذكاء . تقبل فى حنو طيع فارط على الزورات
حيناً طويلاً ، إن وافاك إحساس اللهفة على أحد . ثم
تعرف عن الآخر لغير دافع ملموح ، حتى ليعد اقصاصك
متعمداً مأمولاً . وهكذا فأنت فذٌ فى حاليك وكدنا
نعرف عنك هذا سليقة باقية وسمة ملحّة من سمات
الحياة حتى لقد جمعتى وبعض الرفقة جلسة منذ يومين ،
فتهاقت الكل على تجريحك لأنك آليت على نفسك أن
تبدو مقصراً عند الجميع . غير أننا بعد أن سددنا عليك
كل مسلك ومفر ، عدنا فاشفقنا عليك ، لأنك كما
اتفقنا . . . ظريف . . . وقال أحدنا فى الدفاع عنك
- له العذر . هو ودود ولكنه عنك . ينبى ليجدد

بالفرقة فترات الود وينعشه . وكثرة اللقيان تبعث الملل .
نخدعنا انفسنا ، وارتضينا تلك الخاطرة المحبوكة
عذرا صادقا . أخشى أن تتخذها يا خبيث عدتك الراسخة
في غيابك المديد . . فنجتمع مرة أخرى ، ونسحب ما
قررنا ، ونصدر عليك حكما بالاعدام . . .

وصفى

* * *

٢ فبراير ١٩٣٣

وصفى

لا أدري لم يهتاجنى الحنين اليوم لان أكتب .
رسالتك الطيبة الحلوة لم تعد تثير فى مثل تلك المشاعر
الجمّة السالفة ، فادرك أنها دفعتى . . .
تسلمتها فاذا بى أهاب تلاوتها ، كأثنى استجليت
سرّها ومكنونها فما تقدمت بها ولا تقدمت بى . عرفت
أن اليأس بعد تلاوتها باق والحسرة دائمة إن لم تزد .

وكنت لحظتها أجلس الى مكتبي لا لأقرأ أو أكتب ،
ولكن لتغمرني الحيرة ويساورني القلق وما سوى ذلك
فقد طرقة فما أفدت به ، وما وجدت فيه علاجاً لنفسي
المحزونة .

استعرضت أمر زيارتي اياك ، لعل في لقائك ما
يخفف من حدة العبء ويريح النفس من بعض شجنها
غير اني ألهمت أن ملهتي لا تجد لديك اشفاقاً . وأنت
وأنت أوقف الناس على جليلة نفسى ستثقلنى بلوم جديد
بل أنك قد تشدد فتسخط على وأسخط عليك .

وخلت اليوم أن الذهن قد يهدى ويرشد . ولكن
كأنما هو والنفس فى عناد . ولو أنه أضاء لها سنى المشاعل
لما عزفت عن مسلكها ولو كان معتما . وكل ما يدفع به
القلب ويبعثه ، فيه عذوبة للمرء ولو كان نافرأ لا يقره
عقل أو ترضى به حكمة . .

قد تحبها ، وأنت تدري أن الطريق غير معبدة أو

ممهودة . عامرة بمثل الحسك الأسود والشوك المسمى
ثم أنت بعد هذا تنتشى لحبك ويحلو لك كأنه من
موجود . ويروح فم الأمانى يجود لك كل يوم ببسمة
تفنى فيها وهجة العقل أو سخطه . ثم أنت تغمر هواك
بفيض جديد يروى به وينتمش . ثم اذا كبر وأينع
وأثمر ، وتبدى لك الزهر أسود فى كفه ينبىء بالألم
القادم ؟ تعاديت فى هواك وتعمادى الآخر فى تفتحه
وأساه . واذا ما بدا كاملا زاكيا لم يفتح به الطيب ،
أو يقطر منه الندى اللألاء ، أو يتسقط الرحيق المعسول
وتشهد بدلها السم يهيم فلا يخيل اليك انه دمك المتقطر
فتندم . . . وتعشق هذا السر المفضى كأنه وليدك تحنو
عليه ولو عانيت من أجله .

بل انا يوم يسمو بنا الجموح وطفرة العاطفة الى مكن
الهلكة ، ليشهدنا حتى على وادى الموت نلمحه وما نظفر
بنواله ، بل يبقينا الى الألم المعض نرشف منه . ويوقفنا

وسط تلك المرحلة الحائرة من الجموح لا نذرى بعدها
خطوة الى مشوى الراحة الازلية ولا نهبط أخرى ولو
كان فى المهبوط خلوص تلك الروح وصفاءها . وتتحرك
عناصر الفكر ، وتهالك على تلك المشاعر الجائحة الشائعة
فى الكيان المدنف المهزول تقنعها وترضيها . فما ترضى
هذه أن تقنع . وان تراءى لصاحبها أنها هبطت بتدنى
أن تصفو وتنقى من شوائب جموحها فى صورة من صور
الاستسلام الخالدة والأسى الصامت المكبوت ، الا انها
فى الحق خدعة من خدع النفس مستورة . فما هى ترضى
بالخلاص ، وما القلب يرتد ويتحول عن وثبات الجموح
التي ابتدعها لنفسه . ويجول المرء فى لجة عامرة من ألم
ما بعده ألم . لا يثور من أجله الى الموت فيحظى به ،
ولا يهدأ الى الراحة الوافية بعد النضال العنيف . وانما
يستقر فى عهد من العهود الخالدة فى حياة القلب ، عهد
استسلام يشبه الهدوء ، ولكنه هدوء العذاب .

وهكذا يا صاح . ينتقل المرء في حياته الى جحيم
لا يدري هل هبط اليه ، أم توثب هو وجمع اليه .
ويحس فيه بكل ما يعرفه عن جحيم السماء . يرعى في
اللهب الصامت طويلا . وتنهشه الافاعي لا يسمع لها
خفيح . ويحيا مع من عاشوا من الذين عذبهم أبو العلاء
في رسالة غفرانه ودانت في كوميدياه الالهية . ثم هو
بعد هذا لا يحيا حياة الموت فحسب ولكن تكتفه ايضا
حياتكم الممهودة . وكأن منها وقودا خالدا لسيول اللهب ،
وعمرانا آخر حافلا بالذكرى الملهية كما يحفل جحيمه
الباقى بألوان العذاب .

وهل تزعم أن المرء بعد هذا يرقب في لحظة واحدة
من هذا العذاب الابدى أملا في منجى ، أو يشيح
قتره بالستار عن عينه ليصر بسمة من فم الامانى ؟ ..
لا . لا . لا . يرضى بموت عديد غير محصور ولا يقهر
قلبه . وبعد هذا فالمرء مسكين . ليس في مكنته أن

يفعل شيئاً . خلق هذا الخلق العجيب المعقد ليحار ثم
يعانى . هذا هو ما يسمونه الوجود .

أتعرف يا وصفى متى يسعد الانسان قليلا ، أو
يرتاح من العناء المسنون له ؟ . . اذا خلق يسكن
جنباة اكثر من قلب واحد . . .

مراد

٢ فبراير

مراد

كنت أحسبك سخيا مع صاحبك الوالهة تواقا
اليها . وكنت أعهدك تكنز لها أكثر من الهوى المدف
الدمر لا يدرى يوما ما باعث الونى أو دخل الفتور .
واذا ما كانت تغمرنى لجة من التفكير فى هذا الخاطر ،
عدده هاجسا يصفى على القلب الخلى الذى يلقه الخمول
والنسيان فلا ينعم بانيس أو رفيق . وعددتى أجهل

شئون الهوى واجبن عن صادق التقدير . فاذا ما رأيتها
واستمعت الى حديثها ، وخبرت الجلال المهوم على
روحها بان لى عي وعجزى ، وانعتت نفسى باكبر الغباء .
وقلت لو قضى مراد من غمرة الوجد وسورة الهوى
لكان به جديرا .

عجبت اذ قابلتني بالامس سوسو ترافقها صديقتها
المهودة ، فاذا بها حسيرة محزونة ، حتى خيل الى وقد
أذهلني مشهدها أنه تبقى ان ترتدى حالك السواد ليعدل
ما يكسو وجهها من هم وما يطمر منها البدن من عتمة .
واذا باشرافها قد تسرب اليه ذبول طارق متعجل .
واذ التمحنتها على حالها تلك ، تحركت فى نفسى كوامن
غضبة وثورة وتطرق من وجومها المطبق ما دعانى لان
أرتاب فى أنها هى . وللحال عرفت أن سوسو ذاقت
الحزن أو الحزن أدركها . منحت كأس الدنيا فنهلت
رشفة . لا فرق لديها بين الحمر والسم .

واستعرضتها في حلم ذهبي وهي أُمّامي . لاني لم
أشأ أن أشهدا الا كما كنت أعرف ، مرحة ، طروبا ،
جزلة ، لا تدري ما الأتراح . وتصورتها كما كانت ،
متبديّة كمن خلقت تخلد معها كل مشاعر البهجة .
وشهدا ايضا خيالي راقصه كالطيار شادية كالجمائم ، فاذا
بي أحس كأنما جال بروحها وقتذاك لحن جديد مقفر
راكد كانفاس لا تمنح الحياة بل تقبضها . . . قد يحزن
هذا اللعين في النفس المشبوبة والقلب الجديد فتستعذ به
وكأنما لغرابته يستقبل بالرضى و المتعة .

وأفاقتني انها شهقت تبكي . .

فصرختُ

— سأجن ! . . خبريني ما حدث

قالت

— مراد . . .

— ماذا . . ماذا ! قضي ؟ . . .

قالت و الدمع زاخر

- هجرنى

وقبل أن تفوه بها ، كنت أحسبك و الله قضيت
فخرنت عليك . ولا اكتمك الحق انى اتهمتك باكبر
البنى وأشد العقوق . وان كنت قد واجهتها بغير ذلك .
ورحت أخلق لك المماذير ، واتكهن لها بانك لا بد
تكتنفك هموم العالم وأوصابه .
لا تتوان فى أمر مكاتبته . وسارع اليها نبأ
يطمئنها والسلام .

وصفى

* * *

٣ فبراير

مرار

عجبت لأمرك أشد العجب . أنت الآخر غارق
فى أزمة نفسية جارفة كصاحبك سوسو . ولقد قلبت

الأمر في ذهني الحائر ، لعل أرى في وجه من وجوهه
ما يوقف على جلاء جديد فما وقت . وكل ما جاد به
كتابك مبهم محجوب . لم أدر منه إلا أن الأسى نال
من قلبك وحز فيه أما ما عداه فكأنما عليه سدول
وسجوف . ثم أنك لم تذكر سوسولا بالخير ولا بالشر
كأنك لم تعد لك بها صلة ، أو يربطكما حب جبار .
وقد كنت أحسب مملتك تمسها وتدور حولها .

كنت أظنك وقد ابنت لك قدر الحزن الذي
يحوطها ، تطير إليها طيراً . ولا تقلت منك لحظة دون
السعى لرؤيتها . ولكنك لم تكثر ولم تفعل . . أخشى
أن تكون قد وقعت في حب جديد فتهلك تلك المخلوقة
البريئة وتقتلها .

أرجو أن أكون أخذت فيما تكهنت عنه بعد
تفكيرى في مقابلتك . وبعد أن جال بذهنى ما
جادت به نهاية رسالتك الأخيرة . أملى أنك ما زلت

وفياً لها صادقا في حبها . وما عليك إلا أن تشفى في
سرعة عن هذا الأثر الجديد الذى كدرك ، وعن انك
سعت الى لقائها ، وأصلحت ذات اليين بينكما .

وصفى

* * *

ه فبراير

وصفى

لم تفهم بعد جمال الأسى وجلال الحزن . بل تعده
وزراً أو رجسا يقبح البدن ويعفو بحسن الروح . وتقول
أنك شهدت سوسو مع صاحبها المهدودة ؟ . . وماذا
رأيت في صفحة وجهيها إن كنت قد انعمت ودققت ،
إلا انها تسامتا في تلك اللحظة سويا وارتفعتا عن
مهبط البشر ؟ . . . بل ان سوسو لم يتحرك لها وجيب
قلبي بنغمة الحنين الا ساعة عرضتها لى فى صورتها
الأخيرة . كيان حزين كأنما ينقصه السواد رداء لينسجم

وبيعت فيه الكمال المنشود . هذا قبس من نور صاحبها
جادت به عليها .

أتعرف الارض المقدسة ، والبدن المطهر ، والنفس
الصالية والقلب الخالد ، وكل ما دبت فيه بعض عناصر
السماء ، هذه كلها تندت بقطرات الاسى . وهذه كلها
اشتات كنت اتصورها متجمعة في هذه المخلوقة كلما
شهدتها مع سوسو .

وتتقدم بها الايام وما يزايلها الاحساس المضى الملح
كأنما هو لحظة مديدة العمر لا يفلت الواحد منها ولا
تنقضى . ثم انها لا تنتهى بانتهاء أجلها المسطور ولو
طال . بل انها لتخلق لها تاريخا حالما مائلا لتلمح فيه
وتخلد . وحسبها أنها تحتال فتشوى في قلب كقلبي
يهواها .. فينعم بذكرها ان هجرت صاحبها الحياة .
وأياها ليست مع كل هذا مرهوبة ، وانما هي
قائمة بها راضيه . يمر كل منها كسالفه ولا تشعر بأنه

بحملها جديدا . كأنها تعودتها . كل ما يهمها منها أن
تقرأ وتكتب .

سألها مرة وكانت تحمل كتابا شهدته معها أكثر
من مرة .

- أو تخمين كثيرا هذا الكتاب ؟ . . .

أجابت في كثير من اليقين

- هو خير رفيق أنعم به بعد صاحبك سوسو

قلت

- ما اسمه

أجابت

- من الأعماق . . .

- عجب ! . . . هذا كتاب لا تكاد ترومه إلا

نفس متعبة مكدودة

قالت

- نعم . . . ليضؤل أمامها وصب الحياة

- أواثقة أنت ؟ كنت أخاله يجلب الهم لقارئه من

جديد

سألت

- أتعرف كؤوس الخمر ؟ . . .

- نعم . . . وكرعتها حيناً لا أنسى . . .

- كنتَ اذا تعالج هماً . . .

- وقاسيتُ من أجله . . .

- ولكنك اليوم سعيد بحبك . تكاد تبدو لك

جوانب الارض والحياة مشرقة وحواشيها مزدهرة

قلت

- صدقت . أما لبها فمثل جوف الوادى الفائر

المهجور . خلاء خرب لا تسطم به ومضات أو تترامى

نجوم . . . ومن خلا للعزن واستأنس بالهموم لا يعرف

من الحياة إلا باطنها

سألت

- وجبك ؟ ...

- لا يجدى . . . أحاسيس المرء ومشاعره لمن
تسبق . وما تبعته فينا الفتاة الاولى باق راسخ لا تقدر
على محوه ثانية أو غيرها . بلاء قلب المرء أماته . لو لم
يبق على عاطفة تجود بها الايام ويكنزها لما اكثر يوما
لها أو ناء تحت وخزها . خلى القلب دوما سعيد

- ألم تنس ؟ ...

- فشلت

- جرب هذا . .

وأعطنى الكتاب . ثم أردفت

- كذلك كل أسى صادق مبعوث من حنايا الضلوع ،

عصير من القلب مخمور . . . اقرأه . . فيه ما فى

الكؤوس ولم يحرم

- أظنه ينسبك . . .

- لا . بل يفيقنى الى هم صاحبه ويذكرنى به ،

فأحس إحساس التائه المردود يلتقى رفيقا . هو أيضاً
يحب من الحياة ليلها المغمى الصامت ، ويجفو صخب نهارها
هو أيضاً كان لا يحفل أو يضجر ان عزف عنه الناس
فبقي لا يؤنس سوى الظل ان سار والصدى ان صرخ
وما أظن صاحبه كان يكره أن يهزل ويضمر فيضحي
كله نفسا محقة حاملة لا ظل لها ، وقلبا واهنا لا تكاد
تسمع الا نبضاته . ما كان يعي أثرا جديداً في نفسه
لو تراكب على يومه القاتل آخر كاهج ما يقدمه الريح
وكانت اذا شعت لتغمره بالسنى ذكاء ، وسطح القمر
واثلق النهار في زرقة سمائه الصافية ، ووهجة في لون
ذهبي لامع ، لما تسرب الى قلبه منها ومضة . وحتى ان
اقلت اشعاعه شحيحة ما تكاد تزحف اليه حتى يجلبها
عتمة ، فتختلط بهذا الركود ثم ترجف وتفتنى . . .
- أنت حزينه . . .

وبعثها ممزوجة بما أحسه نحوها من عطف واشفاق

وادركت من عبارتي انى فهمت ووثقت . وتبدى القلق
على من أجلها . وكدت أحس حيننا متلهفا يدفع منى
فى غير تمهل أو روية ، وتيقظ وجدانى الى هذا القلب
الكسير المضنى ، فاذا حباته محصورة فى حيز ضيق
موهوم لا يحس سواه . كالطائر ان سباه الاسر بعد أن
يطول أمده عليه ويتعوده فهو يقنع به : وتراه يرقص
ويقفز كأنما فيه لذته ونعيمه . وينفى الشودة السجين ويطرب .
وتفصح نفسه الحبيسة عما بها فى نغمت الرضى الحزين . . .
وسمعتها فكانت كذلك . وكانت نبراتها كالشدو
المهموم ولكنه صاف كطائر الاثير . ما تكاد تستقبله
اذ يهبط فى قرارك حتى يعود يتسرب فى خفة بعد
أن يترك الذكرى الحلوة التى لا تبرح . واذا بالقلب
ولو كان مأهولا بالاسى قد خف عنه بعض ما به كأنما
تعلقت الشوائب بهذا الشئ الطارق الجديد ثم انجابت معه
وأحسست انها ككتاب الحزن الصادق الذى يدها

تتلوها فاذا بروحك ينملس عنها بعض العناء ، لا لأنها
انستك همك بل لأنها هي الأخرى افاقتك الى ما تزخر
به نفسها من كافح الألم . واذا بها أمامي كالقطعة الفنية
تصفو بها الروح وتطرب من غير وهم أو خيال . نطقت
فباد من افصاحها بعض ما بي ، وارتحت وإن لم ألقها
كلها ، فانها لم تجد بكل ما يتعلق بسرها الهائل .
وبعد أن توقفت عن أن نجيني ، كادت تطفو على
صفحة وجهها وتشرق لهات من مستسرها الخافي . ورنّت
الى نظراتي فوجدتها فاحصة حائرة مشفقة ، تترقب أمرا
وتبتغي الوقوف عليه . ولم تشأ أن تغلقني طويلا
سألت

- اتركك الان . أسمح ؟

قلتُ

- خبريني قبل رحيلك . . .

فاستفسرت في دعر هادىء

- ماذا ؟ ...

- انت حزينة ؟

- وهل يهمك ان تعرف ...

- نعم . . اساك يفيقنى الى همومك فأتأسى

وارتاح . افصحى ليشاطر كلانا احساس الاخر وما يزخر

به قلبه . اسمعنى اعماقك ففيها اكبر السلوى وأجل

العزاء . وهى اصدق من تلك التى منحتنى لأقرأ

سألت

- فى قلبك جرح يدمى ..

- لانه كان يحمل اكبر الحب واروعه .. وانت ؟

- مثلك تماما . ولكنى لا اقرب الذكرى او امهد

لها . هى لدى كالتبر حرام ان تنبش . واكاد اثق ان

اشباحها تخيف وترهب ولذا فقد بدأ الجرح يلتام . تراك

تفعل مثلى ؟ ...

- لا ... بل أناقضك ...

- اذا تنكأه فيضنيك . . . ولا تنسى

- وانتِ . هل نسيتِ ؟ . . .

- بعض الشيء . . .

- ولم تحي ثانية ؟ . . .

- لن أفعل

وصمتت برهة ثم سألت

- وأنت ؟ . . .

أحييتكِ

- أنا ! . . .

- نعم

- وسوسو ؟ . . .

فسكتت حتى أردفت

- أسمعك جاحداً إن فعلت . لم تجترىء صاحبتك

ذنبا فتسبب لها الألم الدفين واللوعة الباقية . حسبك

انك تدري أن أثر فعلك يضرنيها ويشقيها . . أوصيك

بها خيراً . سأتركك .

- الى لقاء ..

- لا تهتم بي كثيراً اترك ذلك للظروف

وحيتنى وبودى لو أمكت معها طويلاً . وشيئتها

عيونى حتى غابت . ثم عدت ولا أحب فى الوجود

سواها .

* * *

١٢ فبراير

وصفى

لا تجزع من اجلى ولا تتألم . هذا يضينى اكثر

مما يحقف عنى . والا فقد تخلق فى نفسى اسى آخر اذ

سببت لك الخواطر الملحة والافكار النابية .

انت طيب القلب كريم . تكاد لاشفاقك تمنحنى

قلبك وتهبنى نفسك . بل اكاد استشف من افصاحك

انك تحمل لى هوى قديما كما تزعم . هذا يا صديقى
يحيرنى . لا تفكر كثيرا فى امرى .

كل ما ساعمل هو ان ابقى على حب مراد . ارعاه
واذكره وإن كان يصدنى ويهجرنى . علمت انه يشفق
علىّ بقدر ما يحب صديقتى عديلة . سأحفظ له هذا ولا
أنكره . ذهبت بالأمس الى صديقتى اطلب منها ألا
تحرمه عطفها ولقاءها . أملى أن اشهدهما فى هناء . أنا
يا صديقى أقدس الحب بقدر ما أنزهه عن الحسد .
وإن كنت اجنح الى أن أثور وأسخط على مراد لعددت
هذا أنانية منى فارطة . ليوجه عاطفته الى المنحى الذى
يشاء فهى صافية نبيلة ، وسأستمر أهواه وأظله بعونى
إن قدرت ، وهو نبيل يعى كل صنيع جميل

الزَّيْبِج

وقصصُ أعزى

للمؤلف نفسه

تناولته بعد صدوره أقلام الكتاب . ونكتني بأسطر
قليلة من كلمة قالها أديب الشرق الكبير عباس العقاد في
نقد الكتاب « لغة حسنة قوية . ومطلع مرجو في فن
القصة يبشر بصعود مطرد . وملكة واصفة لسمات الوجوه
ودلالاتها ، ترينا بواكير هذه القدرة المصورة نامية في
أرومتها . . . الخ »

قريباً يظهر

الحزب الجديد

للمؤلف نفسه



للمؤلف نفسه